شرح الشمقمقية

للسيد عبد الله كنون الحسني

حفظه الله آمين

طبعة جديدة منقحة

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

التعريف بابن الونان

صاحب الارجوزة المشهورة بالشمقمقية

شهرته المطبقة ، جهل أطوار حياته بالمرة ، نتيجة الاهمال ، اسم ابن الونان ، نسبه ، بماذا كانت شهرة قومه ، والده كان نديم السلطان ، كان أصم ، تكنية السلطان له بأبى الشمقمق ، جريان هذه الكنية على عقبه ، موت والده ، اتصاله بالسلطان، كيفية ذلك، إنشاده أرجوزته، حصوله فى معيته ، وفاته ، آثاره ، إكثاره ، شعره . بين ابى نواس وابى العتاهية ، آثاره من غير الارجوزة، الارجوزة، عدد أبياتها، أقسامها قيمتها الادبية، اعتناء الادباء بها، شروحها، طبعتها

بقلم المؤلف :

لا مبالغة اذا قلنا : إن هذا هو الشخص الذى يكاد لا يجهله احد من مختلف طبقات المثقفين عندنا صغارا وكبارا، فهو قد احرز على شهرة واسعة ، بحيث لا تسأل عنه متأدبا ولو ناشئا إلا وجدت عنده من أمره خبرا ، ولا مبالغة ايضا اذا قلنا انه مع ذلك الشخص الذى يكاد لا يعرف احد من حياته قليلا ولا كثيرا ، فهو سر مكنون فى احشاء التاريخ،

ما زال الباحثون يقتصون آثـاره ؛ ويستقصـون أخباره ، وحسبك من الجهل به أننا لا نعرف تاريخ ولادته ولا تاريخ وفاته، إلا ما ذكره الاستاذ النميشى فى وفاته مما نتعرض له بعد . والامر الذى يقضى منه العجب هو أنه ليس ببعيد العهد منا جداً حتى نجد سلوة فى عدم الاطلاع على احواله، وتعرف أطوار حياته ، بل هو ممن درج بين يـدى العهـد الاخيـر وسمعه وبصره ، ويمكن جدا ان يكون بين ظهرانينا اليوم من رأى من رآه وعاشر من عاشره. فهل تريد دليلا أقوى من هذا على إهمالنا لنبغائنا وعدم إنصافنا لهم حتى بعد مماتهم؟ وهل آن لنا ان نتخلص من هذا الاهمال الذى قضى على جل مآثر أسلافنا وبالتالى على أحسابنا الموروثة ، وهى لقاح الاحساب المكتسبة التى نسعى لايجادها وتهيئة اسبابها ؟.

قلنا : إن ابن الونان هو الشخص الذى بقدر ما عرف جهل ، وكما ذكر نسى ، ومعرفته وذكره متأتيان من أرجوزته المعروفة (بالشمقمقية) التى نحمد الله على سلامتها من عوامل الفناء التى اصطلحت على كثير من آثار الادباء غيره وعلـى كثير من آثاره هو غيرها واما جهله ونسيانه فهو مما منينا به من الاهمال الذى أشرنا اليه على أن صبابة من أخباره مما بقى فى بعض الاوراق كما يبقى السؤر فى كأس الشراب، تقفنا على جانب من أمره ، وتكشف لنا بعض سره .

فأول ما نذكر مما نعرفه عنه اسمه ونسبه : فهو أبو العباس احمد بـن محمد بـن محمد بن الونان الملوكـى ، الحميرى النسب، التواتى الاصل ، الفاسى الدار ، وهو يدلى الى الحميرية بقومه بنى معقل من عرب الصحراء الذين

تملكوا وطنه توات بعد زناتة، وبنو معقل هؤلاء رجح ابن خلدون أنهم من مذحج. ومذحج من كهلان ابن سبا أخى حمير وبهذا يفسر افتخار المترجم بالانصار فى الشمقمقية لأن نسب الانصار فى كهلان ، لكن شهرة قومه بفاس انما كانت بأولاد الونان . وببنى ملوك .

ثم نذكر ان والده كان من ندماء السلطان سيدى محمد ابن عبد الله وكان أديبا ظريفا ، خفيف الروح ، لطيف الحس، صاحب نوادر وملح. قال أبو عبد الله الجريرى : وكان شديد الصمم ، قد زال حس سمعه وانعدم ، وكان مع ذلك يفهم بلطيف الاشارة ، ما لا يفهمه غيره بصريح العبارة ، حتى إنه يجيب عما يكتبه الكاتب على أعضائه فى الظلام ، وعما يرقمه الراقم فى الهواء نهارا من الكلام ، من غير أن يبطىء فى الجواب ويخطىء عين الصواب فهو كما قال الشاعر :

تشير له بلحظك من بعيد فيفهم طرفه عنك الاشارة

وهذا لا يستغرب ممن كان على شاكلته ، فان ما حجبه الله من سمعه قد أفاضه على سائر مشاعره ، فقوى بذلك إدراكه ولطف حسه . وقد يكون هذا مما قوى رغبة السلطان فيه وزاد اغتباطه به.

ولقد كان من أثر إعجابه به أن كناه بأبى الشمقمق تشبيها له بذلك الشاعر الكوفى الماجن الذى نقرأ أخباره الطريفة فى الاغانى والعقد الفريد والكامل وغيرها من كتب الادب، فلزمته هذه الكنية وصارت علما عليه فكان لا يدعى بعد ذلك الا بها بل تخطته الى ابنه بل تخطت ابنه الى أرجوزته فلا تدعى الا بالشمقمقية .

هذا كل ما نعرفه عن والد شاعرنا ، بل كل ما نعرفه عن شاعرنا نفسه الى حين اتصاله بالسلطان سيدى محمد بن عبد الله انما المفروض ان هذا الوالد الموهوب قد بذل غاية جهده فى تربية ولده وتنشئته على أكمل الصفات ، فبرع ونبغ ، وما راعنا الا ان رأيناه على بساط البلاط العلوى ينشد شمقمقيته فيستحسنها السلطان ، ويجزل صلته ويرفع منزلته .

ولا نظن* أن اتصاله بالسلطان سيدى محمد بن عبد الله كان فى حياة والده ، لان الوسيلة التى اتخذها اليه تمنع من أن يكون والده فى معية السلطان ويتكبد هو المشاق للوصول اليه لانشاده شعرا يمدحه به ، إلا أن يكون ذلك الوالد قد كبر جدا أو مرض حتى لم يعد فى مقدوره حضور مجلس السلطان وهذا الوجه على ما فيه من التكلف غير مقبول تماما فلنمر القصة على سجيتها ما دام ليس هناك نص تاريخى يلزمنا الاخذ به ولنقل : ان والده قد مات وأنه بقي مدة يعلل نفسه بالحصول على مكانته من السلطان خصوصا ، وليس ما يمنعه من ذلك مع أدبه الجم وشعره النفيس فعمل ارجوزته وقصده بها . لكن الحسود الكنود الذى يعرف من فضله ما لا يعرف غيره ويخشى من مزاحمته لدى السلطان ، كان يقف حجر عثرة فى سبيله ويمنعه من الوصول اليه : فلما أعياه الامر تحين خروج السلطان فى بعض المرار واعترضه فى موكبه وصعد نشزا عاليا من الارض ونادى بأعلى صوته :

يا سيدى سبط النبى أبو الشمقمق أبى

فعرفه السلطان وأمر باحضاره بعد بلوغه الى منزلـه فحضر وأنشد الارجوزة التى نالت رضى السلطان ورفعـت مرتبة الشاعر عنده .

وههنا ينسدل حجاب الغموض تماما على حياة شاعرنا فلا نعرف عنه بعد ذلك لا ما قل ولا ما جل حتى تاريخ وفاته الذى انما «اكتشف» أخيرا وكان الفضل فى اكتشافه للاستاذ النميشى فهو الذى ذكر فى مسامرته تاريخ الشعر والشعراء بفاس انه توفى سنة ١١٨٧ وقد بقينا فى حيرة من ذلـك التاريخ لانفراد الاستاذ به . ثم ألقى إلي انه وقف عليه فى كناش لبعض العلماء المتوفين بفاس قريبا، وفى احدى قدماتى لهذه المدينــة كـان باستطاعتى أن أقف على ذلك الكناش لكننى لم أفعل لضيق الوقت ولثقتى بأمانة الناقل .

وبعد ، فلننظر فى آثار أديبنا على قلة ما وصل الينا منها، وهو على ما نعتقد جزء من عشرة أجزاء إن لم يكن أقل من ذلك. لان ابن الونان كان شاعرا مكثرا سيال الطبع كما يعلم من قول الجريرى . «وكـان حسن النظم مكثـارا ، لا يخاف جواد لسانه عثارا» . وكما يعلم من دراسة هذا النزر اليسير الذى بأيدينا من شعره وخصوصا أرجوزته ، فانه لم يكن على ما يظهر من الشعـراء «الحولييـن» كثيرى العناية بشعرهم ، الذين ينظمون القصيدة فى ليلة وينقحونها فى سنة ، بل كان يرسل نفسه على سجيتها ولا يعبأ باللفظ ينبو عن الموضع الذى وضعه فيه ، ولا بالعبارة تكون قلقة بازاء أختها المطمئنة ومن كـان كذلك فأحـر به أن يخلف ديوانا ضخما من الشعر لانه قد ينظم عدة قصائد فى اليوم

الواحد كما قال أبو نواس لابى العتاهية ، وقد سأله مرة كم تعمل فى يومك من الشعر ؟ فقال له : البيت والبيتين ، فقال أبو العتاهية : لكنى أعمل المائة والمائتين ، فقال أبو نواس لانك تعمل مثل قولك :

يا عتب مالى ولك يا ليتنى لم ارك

ولو أردت مثل هذا الالف والالفين لقدرت عليه.

وآثار ابن الونان من غير الارجوزة هى قطعة شعرية مدح بها سيدى محمد بن عبد الله ، ورسالة مسجعة كتب بها الى الشيخ سيدى المعطى ابن الصالح صاحب ذخيرة المحتاج ثم أتبعها بشعر فى مدحه ، وبيتان فى مدح سيدى محمد بن عبد الله ، وثلاثة أبيات قالها فى ترفعه عن أخذ الزكاة وهذه كلها تجدها فى شرح العلامة الناصرى للشمقمقية. وليس منها أصلا البيتان اللذان نسبهما له العلامة الناصرى والاستاذ النميشى فى الاعتذار عن بخل الكبراء على الشعراء ، فقد ذكرهما العلامة الافرانى فى شرح التوشيح ونسبهما لابن حبيكنا البغدادى كما ذكرهما صاحب معاهد التنصيص ، وكلا الافرانى وصاحب المعاهد ممن عاش قبل ابن الونان بكثير .

وله غير ما ذكر نظم رصين لمسائل ابن خميس المعروفة، وهو أحسن الانظام التى تضمنت تلك المسائل ، وقد ذكرناه فى مجموعتنا (أراجيز البلاغة).

أما الارجوزة او الشمقمقية فهى أعظم آثار ابن الونان، وديوان أدبه، ونموذج شاعريته ، ومثال نظمه ، ولكثير من الادباء اعجاب بها يجاوز حد ما تستحق ، وهى على روى

القاف وعدد أبياتها ٢٧٥ وتنقسم بحسب الاغراض الشعرية الى ثمانية أقسام.

١) النسيب بذكر رحيل الاحبة ، ووصف الابل التى تحملوا عليها والبيد التى تعسفوها ، ولوم الحادى على جده السير ليل نهار حتى أضر بالابل ضررا بليغا ، وتذكيره بمن يحملن على ظهورهن من النساء اللاتـى لا طاقة لهن بذلك السير العنيف واظهاره شديد العطف على هذ الابل حتى تبرع ـ وهو يسر حسوا فى ارتغاء ـ بالريادة لها والقيام عليها أحسن قيام .

٢) التغزل بصفات محبوبته ، وما هى عليه من فنون المحاسن وضروب المفاتن .

٣) الحماسة والفخر .

٤) مخاطبة الحسود .

٥) الحكم والامثال والوصايا .

٦) مدح الشعر .

٧) مدح السلطان .

٨) مدح الارجوزة ، وتحدى الشعراء أن يأتوا بمثلها.

أما قيمتها الادبية فلا نطيل الكلام فيها بعد ما عرفنا مما تقدم الشىء الكثير عن اسلوب ابن الونان وطبقة شعره. وانا لا نغلو فيها غلـو تلـك الطائفة التـى تجاوز بها حد ما تستحقه من الاعجاب ، ولا نبخسها حقها وكونها حقيقة فـى بعض الابيات تسمو الى درجة المطبوعين من الشعراء حتى لا تعدو بها طبقة أبى نواس ومن على طريقته ، انما فى بعض الابيات الاخرى تسفل حتى لا يبقى فرق بينها وبين «الالفيات»

وغالب ذلك فى هذا القسم الذى يصف فيه البيد والقفار ، والنباتات والاشجار ، والحيوانات والاطيار ، وفى قسم الحكم والامثال والوصايا .

أما القسم الاول فلأنه حشر فيه من الالفاظ الغريبة والكلمات الحوشية مما يتعلق بوصف تلك الامور المشار اليها ما جعله كأنه متن من متون اللغة :

وأما القسم الثانى فانه أراد أن يسلك فى ضرب الامثال طريقة ابن دريد فى مقصورته من الاشارة الى مواردها ، والتزم ذلك التزاما كليا وأغمض فيه كل الاغماض ، فعميت أنباؤه على القارىء وصار لا يدرك لها معنى الا اذا كان بجانبه من يفسرها له. وبذلك خرج هذا القسم عديم الانسجام قليل الفائدة .

وعلى الجملة فهى أرجوزة ظريفة جامعة لكثير من فنون الادب ، وأخبار العرب ، وهى على عالمية صاحبها أدل منها على شاعريته ، ولمكانتها التى أشرنا اليها عند الادباء ، فقد عارضها ابن عمرو الرباطى من أدباء القرن الثالث عشر ، واعتنى بشرحها جماعة منهم العلامة أبو عبد الله الجريرى السلوى والعلامة الناصرى (صاحب الاستقصا) وشرحه شرح حافل ، وغيث من الادب هاطل ، والعلامة ابو حامد البطاورى، بارك الله فى أنفاسه، وغيرهم .

وطبعت على حدتها ، ضمن مجموعة من المتون العلمية، طبع حجر بفاس، عام ١٣١٥ هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِـهِ وَسَلَّمَ

الحمد لله الذى سهل سبل الخيرات للمتعلمين ، ويسر مدارك الآمال للمتأدبين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبى الرحمة القائل: «إن من الشعر لحكمة». والرضا عن آله الاتقياء الابرار ، وصحابته المهاجرين والانصار .

[وبعد]: فهذا تفسير لالفاظ [الشمقمقية] دعانى اليه أنى رأيت كثيرا من الطلبة يحفظونها ولا يفهمونها، وآخرين يطلبونها فلا يجدونها ، فأحببت أن أقرب ما بين أولئك وبينها، وازفها الى هؤلاء بعد أن أزينها ، والله المسئول فى القبول، وبلوغ السول ، آمين.

قال الشيخ الاديب الماهر أبو العباس أحمد بن محمد ابن الونان الحميرى الملوكى التواتــى الفاسى ، المشهور [بأبى الشمقمق] :

[مَهْلاً عَلَى رِسْلِكَ حَادِى الأيْنُقِ وَلاَ تُكَلِّفْهَــا بِمَــا لَــمْ تُطِــقِ]

مهلا مصدر نائب عن فعله، والرسل: التمهل والتؤدة والرفق، والحادى : الذى يسوق الابل ويغنى لها ليزعجها

فتقط[illegible] ...ات الطويلة فى الزمن اليسير ، والاينق: جمع ناقه، [illegible] كان جمع قلة فالمراد به هنا الكثرة أى سر على مهل، [illegible] الحادى ، وارفق بضعاف النوق، فلا تكلفها ما لا تطيقه ولا تقدر عليه من هذا السوق العنيف والسير الحثيث .

[فَطَالَمَا كَلَّفْتَهَا وَسُقْتَهَا   سَوْقَ فتى مِنْ حَالِهَا لَمْ يُشْفِقِ]

أى فقد طالت مدة تكليفك لها وسوقها بلا شفقة عليها مع أنك لو تأملت فى حالها لرحمتها ، لما هو باد عليها من أثر الاجهاد والعناء ، وطال فعل ماض اتصلت به ما فكفته ، فلا يطلب فاعلا ، ومثله: كثرما وقلما ، وهى بهذه الصورة أفعال لا تتصرف ولا يليها الا الفعل ، وينبغى أن تكتب موصولة مع ما.

[وَلَمْ تَزَلْ تَرْمِى بِهَا يَدُ النَّوَى   بِكُلِّ فَجٍّ وَفَلَاةٍ سَمْلَقِ]

النوى : البعد، ولا يدلها ولكنه استعارها لها، والفج: الطريق الواسع الواضح بين جبلين ، والفلاة : الصحراء الواسعة ، والسملق : الارض المطمئنة المستوية، وهذا دليل آخر على ما تتكبده هذه الابل من المشاق فى قطع هذه السبل الطويلة، والمسافات البعيدة، فذلك أدعى لرحمتها والاشفاق عليها .

[وَمَا ائْتَلَتْ تَذْرَعُ كُلَّ فَدْفَدٍ   أَذْرُعُهَا وَكُلَّ قَاعٍ قَرِقِ]

[وَكُلَّ أَبْطَحَ وَأَجْرَعٍ وَجِزْعٍ   وَصَرِيمَةٍ وَكُلَّ أَبْرَقِ]

ما ائتلت : ما قصرت، من قولهم: ما ألوت أن أفعل كذا: أي ما قصرت. تذرع كل فدفد: تقيسه بأذرعها ، والفدفد : الفلاة والمكان الغليظ او المرتفع، والقاع: الارض السهلـة المطمئنة التى انفرجـت عنهـا الجبال والآكام ، والقرق : المستـوى والابطـح كالبطحاء : مسيل واسع فيه رمل ودقاق الحصى والاجرع والجرعاء : رملة مستوية لا تنبت شيئا ، والجزع: منقطع الوادى . والصريمة : القطع من الرمل تنصرم اى تنقطع عن معظمه والابرق : الارض الغليظة ذات الحجارة والرمل والطين . وهذه كلها أوصاف متشابهة المراد منهـا تهويل امر هذه المفاوز التى تعبت وكلت أذرع الابل بمعنى أيديها وأرجلها فى ذرعها وقياسها ، وذلك كناية عن حركة السير وسرعته.

[مجاهِـلُ تحـارُ فيهنَ القطا   لا دمْنَـةً لا رَسْـمُ دارٍ قدْ بقِي]

مجاهل جمع مجهل: وهو الفلاة لا أعلام فيها يهتدى بها، تحار: تضل، القطا جمع قطاة : وهو طير بحجم الحمام، يضرب به المثل فى الاهتداء الى المكان المطلوب، والدمنة: آثار الديار والرسم: الاثر. أى تلك المفاوز مجاهل لا يهتدى فيها حتى القطا المعروفة بسرعة الاهتداء ، قد عفت آثارها، ودرست معالمها ، وهي كذلك مظنة اللف والدوران، والضلال والتيهان وقوله: لا دمنة لا رسم دار قد بقي. برفع دمنة ورسم على الابتداء او على اعمال لا عمل ليس ، كقوله تعالى ـ يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة ـ . وخبر دمنة محذوف دل عليه ما بعده ، ويجوز فيه وجه آخر : وهو رفع دمنة، وفتح رسم كقول أمية بن ابى الصلت :

٥ ٨ ام و ولا سائيم فيها   وما فاهوا به أبدا مقيم

ويسعى الاقتصار فيه على هذين الوجهين من الاعراب اسلامهما من الضرورة وهى تنوين دمنة فى حالة البناء

[ليس بها غيرُ السَّوافِ وَالْحَوا   صبِ الْحَرَاجيجِ وَكُلِّ زحْلقِ]

بعد ما وصف الارض بما هو فى طبيعتها من الحزونة أو السهولة والاستواء أو غيره وصفها بما تشتمل عليه من هذه الرياح العواصف ، والزعازع القواصف ، فالسوافى جمع سافياء : وهى الريح التى تسفى التراب : أى تحمله وتذروه، والحواصب جمع حاصب : وهى الريح الشديدة التى ترمى بالحصباء وهى فى قوله تعالى : ـ فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا، والحراجيج جمع حرجوج : وهى الريح الباردة الشديدة ، والزحلق: الريح الشديدة .

[وَالْمَرْخِ وَالْعفَارِ والْعضَاه وَالْبَشَامِ وَالأَثْلِ وَنَبْتِ الْخَرْبَقِ]

[وَالرِّمْثِ وَالْخُلَّة وَالسَّعْدَانِ وَالثَّغْرِ وَشَرْيِ وَسَناً وَسَمْسَقِ]

[وَعُشَرِ وَنَشَمِ وَإِسْحِلِ مَعَ ثُمَامِ وَبَهَارِ مُوِنَقِ]

المرخ: شجر رقيق سريع الورى يقتدح به ، والعفار كذلك شجر يتخذ منه الزناد. وفى المثل: فى كل شجرة نار، واستمجد المرخ والعفار، والعضاه: كل شجر عظيم له شوك، والبشام : شجر طيب الرائحة يتخلل بعيدانه ، والاثل: شجر كالطرفاء الا أنه أعظم منها ، وخشبه صلب جيد تصنع منه القصاع والجفان، والخربق : نبات ورقه كلسان الحمل : أبيض وأسود ، والرمث مرعى الابل من الحمض ، وشجر

...ـه العضا ، والخلة ما فيه حلاوة من النبـات ، والعـرب تقول: الخلة خبز الابل ، والحمض فاكهتهـا . والسعدان : نبت له شوك ، وهو من أفضل ما ترعاه الابل. وفى المثل . مرعى ولا كالسعدان ، والثغر نبت جيد الرعى من أفضل العشب، والشرى: الحنظل، يقال لفلان طعمان : شرى وارى: أى حنظل وعسل، والسنا نبت كأنه الحناء حبه مفرطح وله منافع ، والسمسق : الياسمين والمرزنوش والعشر شجر فيه حراق لم يقتدح فى أجود منه ، والنشم : شجر تتخذ منه القسى ، والاسحل : شجر له أغصان ناعمة يستاك بها، والثمام نبت ضعيف لا يطول، والبهار: نبت جعدله فقاحة صفراء وهو طيب الرائحة ، ويقال فيه أيضا العرار ، ومونق أى معجب ، وهذا وصف للارض بما اشتملت عليه من انواع الاشجار والنباتات البرية ، ثم وصفها بما اشتملت عليه من الحيوانات فقال :

[وَالسِّمْعِ وَالْيَعْقُوبِ وَالْقِشَّةِ وَالسِّيدِ السَّبَنْتَى وَالْقَطَا وَجَوْرَقِ]

[وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالرِّئَالِ وَالْهَيْـثَمِ مَـعْ عِـكْـرِمَـةٍ وَخِرْنِـقِ]

السمع ولد الذئب من الضبع ، وهـو شديد السمـاع يضرب به المثل فى ذلك ، فيقال اسمع من سمع ، واليعفوب: ذكر الحجل والقشة : القـردة او ولدها الانثـى ، والسيد : الذئب ويطلق على الاسد ، والسبنتى : الجرىء المقدام وهو صفة للسيد، والجورق: ذكر النعام، والليل: فرخ الكروان، والنهار : فرخ الحبارى والرئال جمع رأل : وهو ولد النعام ، والهيثم: الصقر، وقيل فرخ العقاب وفرخ النسر، والعكرمة:

أنثى الحمام: والخرنق الفتى من الارانب ، وسميت به امرأة.

[ولَمْ تزَل تقْطَعُ جِلْبَابَ الدَّجَا بِجلمِ اليَـد وسَيْفِ العُنُـق]

الجلباب الملحفة ، والدجا : الظلام ، والجلم : المقراض وهما جلمان، واضافة الجلباب الى الدجا ، والجلم الى اليد ، والسيف إلى العنق ، من اضافة المشبه به الى المشبه على قاعدة التشبيه البليغ المحذوف الاداة ، وليس هـذا البيت تكرارا مع البيت السابق ولم تزل تذرع كل فدفد . الى آخره لان فيه زيادة النص على ان هذه الابل لا تستريح من السير ليلا ونهارا مع حسن الكناية عـن هذا المعنـى بجعلها. اى الابل تقطع ستار الليـل تقطيعـا بيدها التى تشبه الجلم ، وعنقها الشبيه بالسيف .

[فَمَا اسْتَرَاحَتْ مِنْ عُبورِ جعفَرِ ومِـنْ صُعُـودٍ بِصَعِيدٍ زَلَـقِ]

[إلاَّ وَفِى خَضْخَاضِ دَمْعِ عَيْنِهَا خَاضَتْ وَغَابَتْ بِسَرَابٍ مُطْبَقِ]

الجعفر : النهر ، وهو من أعـلام الذكور ، والصعيد : وجه الارض . والزلق مصدر زلق . إذا زلت قدمه ولم تثبت ؛ واسم للمكان الدحض والارض الملساء التى ليس بها شيء ومنه قوله تعالـى ـ فتصبـح صعيدا زلقـا ـ والخضخاض : الطين المختلـط بالمـاء ، والسراب : ما يتـراءى للعين من اشتداد الحر كأنه ماء، ويضرب به المثل فى الغرور والخداع فيقال هو أخـدع من السـراب ، والمطبق : المغطى ، وهذا المعنى من تتمة ما قبله : اى انها ما تكاد تستريح من قطع نهر ، أو تسلق مكان وعر ، حتى تخوض من دمعها الهامل ، فى بحر من السراب الشامل .

[كَأنَّمــا رَقْرَاقُــهُ بَحْرٌ طَما   والنُّوقُ أمْوَاجٌ عَلَيْهِ تَرْتَقِي]

[وَكُــلُّ هَــوْدَجٍ عَلَى أقْتَابِهَا   مِثْلُ سَفِينٍ مَاخِــرٍ أوْ زَوْرَقِ]

[مَرَّتْ بِهَا هُوجُ الرِّيَاحِ فَهِيَ فِي   تَفَرُّقٍ حِينــاً وَحِينــاً تَلْتَقِي]

رقراقه : ما تلألأ منه ، وطما امتلأ ، والهودج محمل تركب فيه النساء ، والاقتاب جمع قتب : محركا ، وبكسر فسكون : رحل صغير يكون على سنام الجمل ، والسفين : جمع سفينة ، وقد يراد به المفرد ويتعين هنا ليطابق المبتدأ والصفة ، وماخر اسم فاعــل مــن المخر : وهو شق الماء ، والزورق : السفينة الصغيرة ، وهوج الرياح : عواصفها التى تقلع الاشجار والبيوت يصف السراب بانه كالبحر المــزبد المتلاطم الامواج، وهذه النوق هى امواجه، وهوادجها: سفنه فهى تتلاعب بها الرياح : تارة تجمعها وتارة تفرقها .

[وَكَمْ بِسَوْطِ البَغْيِ سُقْتَ سُوقَهَا   سَوْقَ المُعَنِّفِ الَّذِي لَمْ يَتَّقِ]

السوط : آلة الضرب ، واستعارة للبغى : وهو الظلم، وسقت ماض من السوق ضد القــود ، وسوقها جمع ساق : وهى من الرجل معروفة ، يعنف الحادى علــى قسوة قلبه ، وقلة خوفه من ربه ، فهو على ما يكلف هذه الابل من عظيم الجهد ، لا يكف عن إلهابهــا بسوط الحقد ، وهذا وان كان تكرارا مع قوله : فطــالما كلفتهــا البيت . الا ان فيه بيانا للكيفية ، وهو مع ذلك لما بعده كالتوطية :

[حَتَّى غَدَتْ خُوصاً عِجَافاً ضُمَّراً   أعْنَاقُهَا تَشْكُو طَوِيلَ العَنَقِ]

أى وبسبب ذلــك التعــذيب والتضريب صارت خوصا

. . ا الاعين جمع خوصاء ، عجافا : ضعافا جمع عجفاء على . . ر وياس ضمرا مهزولة جمع ضامر أعناقها بما يبدو عليها من الانكسار تشكو طويل العنق «ضرب من السير فسيح سريع» وفى إسناد الشكوى الى الاعناق مجاز كما ان فى قوله أعناق وعنق جناسا .

[مَرْثُومَةَ الأَيْدِى شَكَتْ فَــرْطَ الوَجَا
لَكِــنَّهَــا تَشْكُــو لِغَيْــرِ مُشْــفِــقِ]

أى وبسبب ذلك أيضا صــارت مرثومــة الايدى : أى مهشمتها وأصيبت بالوجى : وهو الحفا أو وجع فى الرجل ، فهى تشكو من إلحاحه عليها ، ولكن شكواها تذهب سدى لانها تلقيها إلى غير مشفق .

[قَدْ ذَهَبَتْ مِنْهَا المَحَاسِنُ بِادْ مَانِ السُّرَى وَقِلَّــةِ التَّرَفُّقِ]

الادمان : المداومة ، والسرى : المشى ليلا ، وهذا من الاجمــال بعد التفصيــل فانــه لما خصص بالذكر جملة من العيوب التى أصابتها ، ولم تكن فيها عمم فقــال : إن جميع محاسنهــا قد زايلتها بسبب إدمانهــا السرى ، وقلة ترفق الحادى بها .

[كَأَنَّهَا لَمْ تَكُ قَبْــلُ انْتُخِبَتْ مِنْ كُلِّ قَــرْوَاءَ رَقُوبٍ فُنُقِ]

[دَوْسَرَةٍ، هَوْجَاءَ وَجْنَاءَ، مَا بِهَا مِنْ نَقَبٍ وَمِنْ وَجًــى وَسَلَقِ]

ناقة قرواء : طويلة السنام ، ورقوب لا تدنو من الماء عند الزحام لكرمها وفنق فتية منعمة ، ودو سرة ضخمــة

وهوجاء: سريعة حتى كان بهـا هوجا أى حمقا: ووجناء عظيمة الوجنتين وقصره للضرورة، والنقب: رقة خف البعير والوجى تقدم، والسلق: أثر الجرح. وهذا وصف لما كانت عليه من الحسن والجمال قبل ان يحل بها البلاء والنكـال ، فما أسرع ما تتبدل الاحوال .

[مِنْ بعدِ ما كانَتْ هُنَيدَة غدت أكـثر مـن ذوْد وَدُون شنَق]

الهنيدة : اسم للمائة من الابل ، والذود : اسم لما بين الثلاث إلى العشر ، والشنق لما بين العشر الى العشرين . يريد أن ما أصابها من التلف لم يكن فى أجسامها فقط ، بل تعدى الى النفوس فكاد يبيدها عن آخرها وما أبقى منها الا القليل ، فبعد أن كانت مائة صارت أقل من عشرين .

[وإن تماديـت على اتْعابها ولمْ تكـنْ مُنتهيا عـنْ رهق]

[فسوْف تعْروك علَى إتلافها ندامـة الكُسْعـى والفرزدق]

هذا إنذار للحادى بأنه إذا تمادى واستمر على خطته الهوجاء فى ارهاق هذه الابل وتحميلها ما لا تطيقه فانه سوف تعروه وتصيبه ندامة مثل ندامة الكسعى والفرزدق، وندامتهما مما يضرب به المثل، اما الكسعى بضم ففتح وسكنه الناظم للضرورة فانه اعرابى خرج يصطاد ليلا فبانت له حمر وحشية فرماها فأنفذها، لكن سهامه كانت تصيب صوانة بعد النفاذ فتورى، فظنها لم تصب شيئا فغضب وكسر قوسه وعض على إبهامه حتى قطعها ثم نام ، فلما اصبح وعرف الحقيقة ندم ندما شديدا لكسر قوسه وقال :

ندمـت ندامـة لو أن نفسى تطاوعنى اذا لقطت خمسى

وأما الفرزدق فهو الشاعر المشهور ، وكان تزوج ابنة عمه النوار بنت أعين بن ضبيعة على كره منها له، ورغبة له فيها ، فنشأ بينهما ما هو طبيعي في هذه الحال من الخلاف إلى أن استرضته في طلاقها فطلقها ثلاثا ، وأشهد الحسن البصرى ، فما خرجت عن عصمته حتى نازعته نفسه اليها وندم على طلاقها وقال :

ندمت ندامة الكسعى لما   غدت منى مطلقة نوار

[وَكُنْتَ قَدْ عُوِّضْتَ مِنْ أَخْفَافِهَا   خُفَّيْ حُنَيْنٍ ظَافِراً بِالأَنَقِ]

هذا البيت معطوف على جملة جواب الشرط في البيت قبله ويصح ان يكون حالا من مفعول تعروك ، وهو من تتمة معناه، والتقدير : وان تماديت على اتعابها فسوف تعروك على ذلك ندامة الكسعى والفرزدق وتكون قد تبدلت منها خفى حنين وأتى بالماضى في موضع المضارع لتنزيله منزلة الواقع ، وكنى عن هلاكها ، بهلاك أخفافها ، لانها كل شيء بالنسبة إلى المسافر الذى لا يتأتى له الانتقال بالابل مع تلف أخفافها مع ما في قوله : أخفافها، وخفى حنين من التجنيس ، والاخفاف جمع خف : وهو من البعير كالحافر من الفرس ، وهو أيضا ما يلبس في الرجل، وظافراً بالانق : أى الفرح حال من التاء في عوضت ، وليس في ذلك شيء من الانق ولكنه سخرية لاذعة من الحادى الذى ركب رأسه ، وأبى إلا تعريض الابل للتلف فيظفر بخفى حنين ، وهذا مثل يضرب في الرجوع بالخيبة وأصله أن اسكافا كان يقال له حنين أتاه أعرابى فساومه في خف واختلفا حتى غضب حنين فأراد كيد الاعرابى ، فأخذ الخف

وطرح شقا منــه على طريــق الاعرابى ، ثم ألقى الا خر على مسافة منــه فــى الطريــق وكمن بينهما بحيث لا يراه ، فمر الاعرابى بالخف الاول فقال ما أشبهه بخف حنين فما مضى حتى انتهى الى الآخر فبدا له أخذهما ، فنزل وعقل ناقته وأخذه ومضى فى طلب الآخر فخرج حنين من الكمين وأخذ الناقة بما عليها ، فلما عاد الاعرابى الى قومه وقــص عليهم قصته قيل رجع بخفى حنين .

[لأَنْــتَ أَظْلَمُ مِنِ ابْــنِ ظَالِمِ   إِنْ كُنْتَ مِنْ بَعْدُ بِهَا لَمْ تَرْفُقِ]

ابن ظالم هذا فاتك مشهور له فظائع ، ومن خبر فتكه انه وثب بخالد بن جعفر بن كلاب وهو فى جوار الاسود بن المنذر الملك فقتله وطلبه الملك ففاته ، فقيل له: انك لن تصيبه بشىء أشد عليه من سبى جارات له من بلى ، وبلى حى من قضاعة فبعث فى طلبهن ، فاستاقهن وأموالهن فبلغه ذلك ، فكر راجعا من وجه مهربه وسأل عن مرعى إبلهن وكن فيه ، فتلطف حتى وصل اليه ، ثم استنقذ جاراته وأموالهن وانطلق فأخذ شيئا من جهاز سنان بن حارثة ، فأتى به أخته سلمى بنت ظالم وكانت زوج سنان وقد تبنت ابن الملك شرحبيل ابن الاسود فقال : هذه علامة بعلك فضعى ابنك حتى آتيه به ففعلت ، فأخذه وقتله ، فضرب بفتكه المثل، والناظم ضرب به المثل فى الظلم لاستلزامه له ، وليجنس قوله : أظلم مع ابن ظالم .

[رِفْقاً بِهَا قَدْبَلَغَ السَّيْلُ الزُّبى   وَاتَّسَعَ الْخَرْقُ عَلَى الْمُرْتَقِ]

عاد فطلب منه الرفق بعد ذلك التقريع عسى أن يكون

تأثر مما سمع من وصف حال هذه الابل الذى يستوجب الرثاء فتستجيب نفسه لداعى الشفقة والرحمة ويرفع عنها سوط العذاب والنقمة. وقوله : قد بلغ السيل الزبى، الزبى: جمع زبية وهى الرابية لا يعلوها الماء ، فاذا بلغها السيل كان جارفا مجحفا وهو مثل يضرب لما جاوز الحد وعند اشتداد الامر ، وكذا قوله : واتسع الخرق على المرتق ، والخرق : الثقب فى ثوب أو غيره ، والمرتق : الرافى .

[وَهَبْ لأيْدِيهِنَّ أَيْداً وَلَهَا   مَتْناً مَتِينا ما خَلاَ عَنْ مَصْدَق]

[فَمَا لِظُعْنٍ حَمَلَتْ مِن مِرَّةٍ   بِظَعَنٍ أوْدَى بِهَا فِى الْغَسَقِ]

هذا افتنان من الناظم فى طريق اقناع الحادى فقوله هب أى اعتقد وافرض ، وهو فعل أمر لا يتصرف لايديهن : المراد به ما يشمل اليدين والرجلين أيدا : أى قوة، ولها : أى للنوق متنا : أى ظهرا متينا : أى قويا ما خلا عن مصدق: أى شدة وصلابة فما لظعن جمع ظعينة : وهى المرأة ما دامت فى الهودج أو مطلقا ومفعول حملت محذوف : أى حملتهن من مرة : أى قوة على ظعن فى الغسق : أى سير أودى بها : أى أهلكها ، والغسق أول الليل ، وجنس بين أيديهن وأيدا ، ومتنا ومتينا ، وظعن وظعن .

[أَسَأْتَ لِلْغِيدِ وَلِلنُّوقِ وَلِى   إسَاءَةً بِتَوْبَةٍ لَمْ تُمْحَقِ]

الغيد جمع غيداء : وهى المرأة المتثنية من اللين والنعومة وأقام بهذا حجة أخرى على الحادى حيث جعل اساءته غير قاصرة على الابل ، بل تعدتها الى الغيد واليه ، فهى اساءة عظيمة لا تمحوها توبة .

[لَوْ لَمْ يَكُنْ بِحُبِّ حِلْمِ أَحْنَفٍ   والْمَنْقَرِى قَلْبِيَ ذَا تَعَلُّقِ]

[حَمَلْتُ رَأْسَكَ عَلَى شَبَا الْقَنَا   مُرَوَّعاً بِهِ حُدَاةُ الأَيْنُقِ]

الحلم : الاغضاء والصفح ، والاحنف : هو ابن قيس التميمى من سادات التابعين ، والمنقرى : قيس بن عاصم صحابى جليل وكلاهما ممن سادقومه واشتهر بالحلم ومكارم الاخلاق ، أما الاحنف فقد ضرب به المثل فى الحلم وطار صيته بذلك وأما قيس بن عاصم فقد قيل للاحنف: هل رأيت أحلم منك ؟ قال : نعم قيس بن عاصم المنقرى حضرته يوما وهو محتب يحدثنا اذ جاءوا بابن له قتيل وابن عم له كتيف، فقالوا: ان هذا قتل ابنك فلم يقطع حديثه ولانقض حبوته ، حتى اذا فرغ من الحديث التفت فقال لاحد أبنائه : قم الى ابن عمك فأطلقه ، والى أخيك فادفنه، والى أم القتيل فاعطها مائة ناقة فانها غريبة لعلها تسلو عنه . والناظم تهدد الحادى بأنه لولا تغليبه لجانب الحلم على جانب الانتقام لحمل رأسه على شبا : أى رءوس القنا : أى الرماح ، مروعا : أى مخوفا به حداة الاينق ليرتدعوا عن تحميلها ما لا تطيق .

[فَسُقْ فَلاَ نَعِمَ عَوْفُكَ وَلاَ   أَمِنَ خَوْفُكَ وَلاَ تَدْرَنْفِقِ]

يعنى أما وقد نجاك حلمى عنك فسق فلا نعم عوفك . وهذا مثل والعوف البال والشأن ، فهو دعاء عليه ، ومثله : لا أمن خوفك ، وقوله لا تدر نفق اى لا تمش سريعا ، وهو دعاء عليه أيضا .

[وَدَعْ يَسُوقُ بَعْضُهَا بَعْضاً فَقَدْ   دَنَا وُلُوجُهَا بِوَعْسٍ ضَيِّقِ]

أى واتركها تسوق نفسها بنفسها فقد قاربت أن تدخل فى طريق وعر ضيق لا يمكن سلوكها به إلا متتابعة يقدم بعضها بعضا ، أما أنت فسوقك العنيف يحرجها ويحملها على التدافع والتزاحم فى هذا المسلك الوعر فتعطب وتهلك ، وهذا من الناظم استدراج للحادى ليرتب عليه قوله :

[وَلْتَتَّخِذْنِى رَائِداً فَإنَّنِى ذُو خِبْرَةٍ بِمُبْهَمَاتِ الطُّرُقِ]

الرائد : هو الذى يرسل فى طلب الكلأ : أى ولتجعلنى رسولك ودليلك أرتاد لك المراعى الخصبة ، وأسلك بك الطرق القريبة ؛ فاننى على خبرة بمبهمات الطرق : أى خفياتها ويستلزم ذلك علمه بواضحاتها بالاولى .

[إنْ غَرِثَتْ عَلَفْتُهَا وَلَوْ بِمَا جَمَعْتُهُ مِنْ ذَهَبٍ وَوَرِقِ]

[أَوْ صَدِيَتْ أَوْرَدْتُهَا مِنْ أَدْمُعِى نَهْرَ الأُبُلَّةِ وَنَهْرَ جِلِّقِ]

غرث : جاع ؛ وبابه طرب ؛ والذهب معروف، والورق الدراهم الفضة المضروبة ، وصدى كعطش وزنا ومعنى ؛ وأوردتها : أى أحضرتها المورد ، ونهر الابلة بالبصرة ؛ وجلق دمشق الشام ؛ ونهرها بردى ؛ وهما معا من أنزه الاماكن . وهذا من الناظم غاية الرعاية ومنتهى الكفاية ؛ اذ أنه تكفل للحادى بانه لا يقتصر على الريادة فحسب ؛ بل يقوم بعلف الابل ولو كلفه ذلك انفاق ما جمعه من مال ، وبوردها ولو كان مما لا ينال ؛ والعذر له فانه ليس هو المتكلم ؛ ولكنه لسان الهوى يعبر ويترجم ؛ والابل ليست هى المقصودة بالذات ولا مما يستحق هذا الالتفات ؛ ولكن السر في السكن لا فى المسكن ؛ وكما قال المجنون :

وما حب الديـار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

[رِفْقـاً بِهـا شَفيعُهَا هَوَادِج غَدَتْ سَمَاءَ كُلِّ بَدْرٍ مُشْرِقِ]

[مِنْ كُلِّ غَيْـدَاء عَرُوب بَضَّة رُعْبُوبَة عَيْطَاء ذَات رَوْنَـقِ]

[خَرِيـدَة مَمْسُـودَة رَقْرَاقَـة وَهْنَانَـة بَهْنَانَـة الْمُعْتَنَـقِ]

هذا انتقال من غرض الى غرض ، وقد مهد له الناظم فأحسن ؛ فلما تخلص اليـه لم يكن ثقيـلا على السمع ؛ ولا نابيا عن الطبع ؛ والغرض المنتقل منه ذكر رحيل الاحبة ، ووصف الابل التى تحملوا عليها ، والبيد التى تعسفوها ؛ ولوم الحادى على جده السير ليلا ونهارا ؛ حتى أضر بالابل ضررا بليغا ، وتذكيره بمن تحمل على ظهورها مـن النساء اللاتى لا طاقة لهـن بذلك السير العنيف ؛ واظهاره شديد العطف على هذه الابل حتى تبرع وهو يسر حسوا فى ارتغاء بالريادة لها والقيام عليهـا أحسن قيام ؛ وهـذه الفنون من الكلام هى ما يعبر عنه الادباء بالنسيب ؛ والغرض المنتقل اليه التغزل بصفات محبوبـه ؛ وذكـر ما هو عليه من فنون المحاسن وضروب المفاتن فقوله : رفقا بها شفيعها هوادج هو من الكنايه عن الحال باسم المحل اذا قلنـا انه يتشفع اليه بتلك السيدات اللاتى فى داخل الهوادج ؛ او الكلام على حقيقته ؛ وانما صانهن عن التشفع بهن قصدا ، لانه يرى ان قدرهن أرفع من التوسل به الى الحادى، وفى البيت استعارة وتشبيه فانه لمـا استعـار البـدور المشرقة للنساء شبه الهوداج بالسماء ؛ وقوله : من كل غيداء بيـان لكل بدر ، والغيداء تقدم تفسيرها ؛ والعـروب : الحسنـة الجميلة ؛

والبضة : الرخصة البـدن : الناعمة ؛ والرعبوبة : البيضاء المنعمة ؛ والعيطـاء . طويلـة العنق وهو ممـا يتمدح به ؛ ويكنون عنها ببعيدة مهوى القرط . ذات رونق : أى صاحبة حسن ورواء ؛ والخريدة : البكر التى لم تمس ؛ ويقال لؤلؤة خريدة لم تثقب ؛ والممسودة : المجدولة الخلق الممشوقة القد ؛ والرقراقة : المتلألئة البراقة ؛ والوهنانة : الكسلى عن العمل تنعما ؛ وعنها كنى امرؤ القيس بقوله: نئوم الضحى وبهنانة المعتنق ، طيبته لينته .

[وَقُلْ لِرَبَّاتِ الْهَوَادِجِ انْجَلِيـنَ آمِـنَـاتٍ فَـزَعٍ وَفَـرَقٍ]

[فَـإنَّنِـى أَشْجَعُ مِـنْ رَبِيعَةٍ حَامِىالظَّعِينَةِ لَدَىوَقْتِ اللُّقى]

ربات الهـوادج : صاحباتهـا ، وهـن النساء اللاتى وصفهن فى الابيات قبل ، وانجلين : ابرزن واظهرن، وآمنات حال من فاعل انجلين ، والفزع ، الذعر ، والفرق : الخوف : أى وقل ايها الحادى لصاحبـات الهوادج : ينجليـن غيـر متخوفات أن يدنو منهن أحد ، فاننى عند اللقاء فى الحرب أشجع من ربيعة حامى الظعينـة : أى المـرأة ، وأراد بـه الجنس ، إذ هو فى المثل جمع ، ولفظه : أحمى من مجير الظعن ، وهـو ربيعة بـن مكدم ، الكنانى ، وكان من خبره : أن نبيشة بن حبيب السلمى خرج غازيا فلقى ظعنا من كنانة بالكديد ، فـأراد أن يحتويهـا فمانعه ربيعة بن مكدم فى فوارس وكـان غلاما لـه ذؤابة فشد عليه نبيشة فطعنه ، فأتى ربيعة أمه فعصبته واستسقاها ، فقالت : اذهب فقاتل القوم فان الماء أمامك ، فرجع وكر على القوم فكشفهم ورجع

الى الظعن وقال : انى لمائت وسأقف بفرسى على العقبة ، وأتكىء على رمحى ، فان فاضت نفسى كان الرمح عمادى ، فالنجاء النجاء ، فوقف ساعة حتى نزفه الدم ، ففاظ أى مات وطال وقوفه ، فاشتبهوا فى أمره ، فرموا فرسه فقمص وخر ربيعة لوجهه ، فطلبوا الظعن فلم يلحقوهن . قال أبو عمرو ابن العلاء : ما نعلم قتيلا حمى ظعائن غير ربيعة بن مكدم .

[فَرُبَّمَا يَبْـدُو إذَا بَـرَزْنَ لِى   رِيمٌ إلَيْهِ طَارَ بِـى تَشَوُّقِـى]

[لُبْنَى وَمَا أَدْرَاكَ مَا لُبْنَى بِهَا   عُرِفْـتُ صَبَّـا مُغْرَماً ذَا قَلَق]

رب حرف جر، للتقليل أو التكثير حسبما يستفاد من الكلام ، وتوصل بما كما هنا ، وتخفف أيضا كما فى قوله تعالى ـ ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ـ فى قراءة نافع وحفص ، ويبدو : يظهـر ؛ وبـرزن : ظهرن . والريم مهموزا ومخففا : الظبـى الخالص البيـاض ، جمعه آرام ، ولبنى بدل مـن ظبى : وهـو اسم محبوبته ، وقوله : وما أدراك ما لبنى هو استفهام . مقصود به التعظيـم لشأنها : أى وما أعلمك ما لبنى هذه التـى عرفـت واشتهرت بها ، صبا : أى عاشقا ، مغرما ، ذا قلق .

[تسبِى بِثَغْرٍ أَشْنَبٍ ومَرْشِفٍ   قَدِ ارْتَوَى مِنْ قَرْقَفٍ مُعَتَّقِ]

[وَنَـاعِمٍ مُهَيْـكَـلٍ وَفَـاحِـمٍ   مُرَجَّـلٍ وَحَـاجِبٍ مُـرَقَّـقِ]

[وَعَقَـبٍ مُحَـجَّـلٍ ومِعْصَـمٍ   مُسَـوَّرٍ وعُـنُـقٍ مُـطَـوَّقِ]

[ومُقْلَةٍ تَرْمِـى بِقَوْسٍ حَاجِبٍ   لاَحِـظُهَـا بِسَهْمِهَـا الْمُفَوَّقِ]

تسبى : أى تأسر ، والمفعول الذى هو المسبى محذوف لعلمه من الكلام : اى لب الرجل ، والثغر : مقدم الاسنان ، والاشنب : البارد ، والمرشف : ما يرشف : أى يمص من الفم . وقد ارتوى جملة فى موضع الوصف لمرشف والقرقف الخمر ، والمعتق من عتق الخمر : تركها تحسن وتجود ، وفى الكلام استعارة ، إذ مراده بالقرقف : ريقها الذى يشبه الخمر فى الطيب والاسكار . وقوله : وناعم صفة لموصوف محذوف أى وجسم ناعم ، والمهيكل : الضخم . وقوله. وفاحم موصوفه محذوف أيضا : أى وشعر فاحم :اى أسود. وقوله : وعقب محجل ، العقب : مؤخرة القدم ، والمحجلَ . الذى فيه حجل وهو الخلخال . وقوله : ومعصم مسور ، المعصم : موضع السوار من اليد ، والمسور : ذو السوار ، والسوار : الدملج . وقوله. وعنق مطوق : أى ذى طوق ، والطوق : القلادة. وقوله : ومقلة الخ، المقلة : مجموع شحمة العين بسوادها وبياضها وترمى بقوس حاجب: أى عنها ، والحاجب يشبه بالقوس لتقوسه وانعطافه مثلها وفيه تورية بقوس حاجب بن زرارة التميمى وسيأتى الكلام عليها عند الناظم ، ولاحظها : أى ناظرها مفعول ترمى ، بسهمها المفوق السهم النبل الذى يرمى عن القوس . والمفوق : الذى جعل له فوق (I) وهو شق فى رأس السهم حيث يقع الوتر ، وفى هذه الابيات وقع للناظم وصف المؤنث بالمذكر مرتين فى قوله : قرقف معتق ، وفى قوله : وعقب محجل ، وكلا القرقف والعقب مؤنث ، ويخرج على مذهبهم

(I) بضم الفاء

في تذكير المؤنث اذا لم تكن فيه علامة تأنيث وقام مقامه لفظ مذكر. قال الشاعر :

والعين بالاثمد الخازى مكحول

فذكر على معنى الطرف ؛ والعقب لها مرادف مذكر : وهو العرقوب ، والقرقف يرادفها الخمر ، وتذكر في لغة .

[تَمْنَـعُ مَسَّ ثَوْبِهَـا لِجِسْمِهَا   ثَلاثَةٌ مِثْلُ الأَثَافِي في الرُّقِي]

[حُقَّانِ مِـنْ عَاجٍ وَقَعْبُ فِضَّةٍ   مِنْ ظَاهِرٍ وَبَاطِـنٌ كَالشَّفَقِ]

الاثافي جمع أثفية وهي حجـر توضـع عليه القدر ، وقولهم في المثل : رماه الله بثالثة الاثافي ، يعنون الجبل لانهم قد يسندون القدر عليـه وعلى حجرين آخرين يدعونه ثالثة الاثافي في الرقي أي الصعود ، وأراد بـه البروز ثم أبدل من ثلاثة قوله : حقان من عاج ، الحق : العلبة ، والعاج معروف ، وقعـب فضـة ، القعـب القدح الضخم الغليظ ، واضافته الى فضة بيانية : أي من فضة وقوله. من ظاهر خبر لمبتدأ محذوف : أي هذا من ظاهر ، ويصح تعليقه بفضة، وباطن كالشفق جملة من مبتدأ وخبر معطوفة او مستأنفة ، والمسوغ للابتداء بالنكرة ما فيها من معنى التفصيل والشفق: حمرة الغروب . والمعنى تحول دون مباشرة ثوبها لجسمها ثلاثة اشياء هي مثل الاثافي في البـروز . حقان من عاج ، وقعب ظاهره أبيض كالفضة ، وباطنه أحمر كالشفق ، وهو يعني الثديين وملمس العفاف ، فاستعار الحقين والقعب لذلك ، وكنى بهذا عن امتلائها وتماسكها .

[وزادَ مِسْكُ الخالِ وَرْدَ خَدِّهَا   حُسْناً وَقَدْ عَمَّ بِطِيبِ عبق]

[وَقَبَّلَتْ أَقْدَامَهَا ذَوَائِبٌ   سُودٌ كَقَلْبِ العَاشِقِ المُحْتَرِقِ]

المسك طيب معروف ، والخال الشامة السوداء ، تكون فى البدن ، والاكثر أنها التى بالخد ، والعبق : الفائح . وقد عبق كفرح ، والخال لامسك له ، ولكنه استعاره كما استعار الورد للخد ، وقبلت ، التقبيل اللثم، والذوائب جمع ذؤابة ، وهى الضفيرة من الشعر اذا كانت مرسلة فان كانت ملوية فهى عقيصة ، وذؤابة كل شىء أعلاه ، ومنه قولهم : هو فى ذؤابة قومه : اى فى اعلاهم نسبا ومجدا ، وسود نعت له وفى هذا كناية عن طول شعرها ، ونسبة التقبيل للذوائب استعارة ، ويريد بالعاشق المحترق نفسه

[كَمْ أَوْدَعَتْ فِى مُقْلَتِى مِنْ سَهَرٍ   وَأَضْرَمَتْ فِى مُهْجَتِى مِنْ حَرَقِ]

[ولاَ يَزَالُ فِى رِيَاضِ حُسْنِهَا   يَسْرَحُ فِكْرِى ويَجُولُ رَمَقِى]

كم للتكثير ، وأودعت : استحفظت ، وأضرمت : أوقدت ، والمهجة : النفس ، وجمعها مهج . وقيل المهجة دم القلب ، والحرق : النار ، والمعنى على المجاز والاستعارة فانها لم تودع فى مقلته شيئا، ولكنها كانت السبب فى ذلك فأسند الفعل اليها مجازا ، والاستعارة فى التعبير عن سهر مقلته بسببها وعذاب قلبه بحبها بالايداع والاحراق ، وفى جعله لحسنها رياضا يسرح فيه فكره ويجول رمقه .

[ولاَ تَسَلْ عَمَّا أَبُثُّ مِنْ جَوًى   وَمَا تُرِيقُ مِنْ دُمُوعٍ حَدَقِى]

[يَوْمَ اشْتَكى كُلٌّ بِمَا فِي قَلْبِهِ   لِحِبِّهِ بِطَرْفِهِ بِمَا لَقِي]

لا تسل مضارع سال مخففة وتخفيفها لغه . قال تعالى ـ سال سائل ـ وأبث : أظهر ، والجوى : سقم الجوف من طول المرض ، او تأثير الحزن فى القلب ، وتريق : تسكب وتهرق ، والحدق جمع حدقة : وهي سواد العين الاعظم ، والحب : الحبيب كالخدن والخدين والطرف : العين : أى لا تسل عن شدة ما اظهرته من الحزن وكثرة ما سكبته من الدموع يوم اشتكى كل منا لصاحبه : يعنى نفسه وحبيبته باشارة طرفه بما فى قلبه من الم الحب والهوى وتبريح الشوق والنوى فحبهما اذا متبادل ، وشوقهما متعادل وقوله : بما لقي يصح ان يكون بدلا من قوله : بما فى قلبه ، وان تكون الباء سببية والتقدير يوم اشتكى كل بما فى قلبه بسبب ما لقي : اى منه وفي قوله : أبث وتريق مخالفة لمقتضى السياق اذ كان حقه ان يقول : يوم بثثت واراقت ، لان ذلك كان يوم افضائه لها بحبه وشكايته اليها بجوى قلبه. ولكنه عبر بالمضارع حكاية للحال واستحضارا لتلك الصورة فى ذهن المخاطب حتى يكون كأنه يشاهدها على حد قوله تعالى ـ والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا ـ وهو كثير فى الكلام البليغ .

[مَا عُذْرُمَنْ يَشْكُو الجَوَى لِمَنْ جَفَا   وَهُوَ لِدَمْعِ عَيْنِهِ لَمْ يُرِقِ]

ما عذر : استفهام انكارى مفاده النفى : أى لا عذر لمن يشكو الجوى للحبيب الذى جفا فى عدم إراقة ماء شئونه ، والتعبير بذلك عما يعالج من غمرات شجونه ، والجفا هنا : المراد به البين والفراق ، لا القطيعة والهجران لانه قدم ايضا

انها تحبه وتهواه ، وجملة : وهو لدمع عينه لم يرق : حال .

[آهِ عَلَى ذكرِ لَيَالٍ سَلَفتْ   لِي معهَا كَالْبَارِقِ الْمُؤتلقِ]

[فِي مَعْهَدٍ كُنَّا بِهِ كَنَخْلَتَيْ   حُلْوَانَ فِي وَصْلٍ بِلاَ تَفَرُّقِ]

آه : اسم فعل بمعنى أتوجع ، والذكر مصدر كالتذكر، وسلفت مضت ، وهو من باب قعد، والبارق : السحاب ذو البرق ، والمؤتلق : اللامع ، شبه ليالى الوصل به فى سرعة الذهاب وقلة اللبث. والمعهد المكان لا يزال القوم يتعاهدونه: أى يرجعون اليه ويترددون عليه ، والباء فى به ظرفية بمعنى فى، ونخلتا حلوان: هما نخلتان كانتا بعقبة حلوان من غرس الاكاسرة يضرب بهما المثل فى طول الصحبة وقدم المجاورة، وللشعراء فيهما شعر كثير ومنه قول مطيع بن اياس :

أسعدانى يا نخلتى حلوان   وارثيالى من ريب هذا الزمان

ولعمرى لو ذقتما ألم الفر   قة أبكاكما الذى أبكانى

أسعدانى وأيقنا أن نحسا   سوف يلقاكما فتفترقان

وقد صدق هذا الشاعر ، فانه لما خرج الرشيد الى طوس هاج به الدم وهو بحلوان فنعت له الطبيب الجمار ولم يكن هناك نخل الا هاتين النخلتين فقطعت احداهما واتى بجمارها فلم تلبث الاخرى أن ذبلت وماتت ، ولما اخبر بذلك أسف وقال : لو علمت ما قطعتها ولو قتلنى الدم :

[نِلْنَا بِهِ مَا نَشْتَهِي مِنْ لَذَّةٍ   وَدَعَةٍ فِي ظِلِّ عَيْشٍ دَغْفَقِ]

[أَزْمَانَ كَانَ السَّعْدُ لِي مُسَاعِداً   وَمُقْلَةُ الرَّقِيبِ ذَاتُ بَخَقِ]

نال خيرا ينال نيلا : أصاب، والدعة : الخفض وسعة العيش وفعله ودع ككرم ، والعيش الدغفق : الواسع ، وعام دغفق : مخصب ، ودغفق الماء : صبه صبا كثيرا ، والعيش لا طل له ولكنه استعاره وأزمان ظرف يتعلق بنلنا ، والسعد: الحظ، والمساعد : المواتى ، والرقيب : الحارس والمنتظر؛ وبابه دخل ، ويطلقه الشعراء والمحبون على المزاحم الذى يترصد الحبيبين ويتسبب فى اقلاقهما وعدم تلاقيهما ، وذات بخق : اى عوراء وقد بخقت عينه من بـاب فرح فهى بخقاء وباخقة ، وبخقتها انا ، وبابه قطع . المعنى ذلك العهد اصبنا فيه ما شئنا من لذة العيش وبلهنيته وخفضه ورفهنيته ايام كان فلك الاقدار بسعادتـى جاريا ، وكـان الرقيب عنا غافلا ساهيا .

[وَالْيَوْمَ قَدْ صَارَ سَلامُ عَزَّةٍ   يُقْنِعُ مِنْ لُبْنَى إِذَا لَمْ نَلْتَقِ]

يعنى وقد حالت اليوم تلك الحال ، وتبدلنا الفراق من الوصال ، فصرت اقنع من لبنى بتسليمها ، وأكتفى بحفيرها عن عظيمها : وهو يعنى بذلك ما كان من إشارتها له بطرف العين ، وشكواه اليها كذلك كما تقدم فى قوله .

يوم اشتكى كل بما فى قلبـه   ... ...

ولمح بسلام عزة الى ما روى من ان كثيرا وقف مرة على عزة وهو متحمل من مصر فقال عليك السلام يا عزة ، فقالت عليك السلام يا جمل ، فقال :

حيتك عـزة بعد الهجـر فانصرفت
فحـى ويحـك مـن حياك يـا جمل

لـو كنـت حييتهـا ما زلت ذامقـة

عنـدى ومـا مسك الادلاج والعمل

ليـت التحيـة كانت لـى فأشكرها

مكـان يـا جمل حييـت يا رجـل

[وَاللهِ لَـوْ حَلَّـتْ دِيَارَ قَوْمِهَا   وَاحْتَجَبَتْ عَنِّى بِبَابٍ مُغْلَقِ]

[لَزُرْتُها وَاللَّيْلُ جَـوْنٌ حَالِكٌ   وَجَفْنُهَـا لَمْ يَكْتَحِـلْ بِـأَرَقِ]

[مَـعَ ثَلاَثَـةٍ تَقِـى صَاحِبَهَا   مَا لَمْ تَكُنْ نُونُ الْوِقَايَةِ تَقِى]

فى هذه الابيات انتقال من غـرض التغـزل الى غرض التحمس وهو مناسب لما كان فيه من شكوى الحال وتـذكر ايام الوصال لان ذلك مما يهيج الحمية ، ويحرك النخوة فى النفس الابية ، فلذلك قال : وأقسم ، والله لو حلت. أى نزلت يتعدى بنفسه وبحرف الجر ، وبابه قعد ، ديار قومها : يعنى منازلهـم، واحتجبـت أى استتـرت وتمنعت ، بباب مغلق : مسدود لزرتها : جواب القسم على القاعدة فى انه اذا اجتمع فى الجملة شرط وقسم ، فالجواب للسابق منهما ، والليل : الواو للحال والجـون : الاسـود ، ويطلـق بالاشتراك على الاصفر ، وجمعه جون ، وحالك مظلم جدا وفعله حلك كفرح، وجفنها الجفن غطاء العين من أعلى وأسفل ، وجمعه أجفان وجفون ، لم يكتحل بأرق . أى سهر . وقد أرق كفرح ؛ يريد وهى نائمة والجملة كسابقتها فى موضع الحـال . قوله مع ثلاثة . أى مصحوبا بثلاثة ، تقى صاحبها : أى تدفع عنه . ونون الوقاية : هى التى تلحق الفعل حين اتصاله بياء المتكلم لوقايته من الكسر الذى لا يكون فى الافعال . مثل علمنى

ويعلمنى وعلمنى . وهذا اقتباس من علم النحو . وفيه مراعاة النظير . فان الكسر الذى تقيه نون الوقاية يناسب العطب الذى تقيه هذه الثلاثة .

[سَيْفٍ كَصَمْصَامَةَ عَمْرو بَاترٍ   لاَ يُتَّقَى بِيَلَبٍ وَدَرَقِ]

بالكسر على البدلية من ثلاثة أو بالرفع خبر لمبتدأ محذوف أى أحدها سيف . وباتر من بتر . أى قطع . وبابه نصر . لا يتقى لا يحترز منه. بيلب . واليلب : المراد بها هنا الدروع . وهو اسم جنس جمعى . واحده يلبة . والدرق جمع درقة ، وهى الترس . والصمصامة: سيف عمرو بن معد يكرب الزبيدى من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومن شجعان العرب المعدودين . وهو من سيوف العرب المشهورة . ويضرب به المثل فى حسن المضاء وكرم الجوهر.

[وَبَيْنَ جَنْبَيَّ فُؤَادُ ابْنِ أَبِى   صُفْرَةَ قَاطِعٍ قَرَا ابْنِ الأَزْرَقِ]

الجنب : الشق من الانسان وغيره . وهما جنبان . والجمع جنوب . والفؤاد : القلب . وقاطع صفة لابن أبى صفرة والقرا : الظهرة اى وقلب بين جنبى مثل قلب ابن ابى صفرة فى الثبات والشجاعة . وابن ابى صفرة هذا هو المهلب المشهور القائد والامير فى ايام بنى أمية . وابن الازرق هو نافع بن الازرق الخارجى رأس الازارقة : إحدى فرق الخوارج وكان شجاعا مقدما فى فقه الخوارج . وظهر أمره فى أيام ابن الزبير . واستمر الى ايام عبد الملك بن مروان . وغلب على كثير من البلاد . وكان كلما سار إليه جيش رده مهزوما ، فلما صمد اليه المهلب لم يقدر عليه ،

وعالج المهلب من قتاله وقتال أصحابه أمرا شديدا وتغلب عليه بالمطاولة بعد نحو العشرين سنة ، فلذلك قال الناظم: قاطع قرا ابن الازرق . وأعقب ذكر السيف بالشجاعة لانها لازمة له ، ولا بد منها فى إفـادة الغـرض المطلوب كما قال الطغرائى :

وعادة النصل ان يزهى بجوهره   وليس يعمل إلا فى يدى بطل

حتى الصمصامة لما طلب عمر رضى الله عنه من عمرو ابن معد يكرب أن يريه إياه فاحتقره . قال يا أمير المؤمنين : إنك طلبت منى السيف ولم تطلب منى الذراع الذى يضرب بـه .

[وَفَـرَسٌ كَـدَاحِسٍ أَوْ لَاحِقِ   يَوْمَ الرِّهَانِ شَأْوُهُ لَمْ يُلْحَقِ]

الفرس معروف ويقع على الذكر والانثى وربما قالوا فرسة وجمع من لفظه على فرسان وفوارس ، والثانى شاذ، ومن غيره على خيل ، وداحس اسم فرس لقيس بن زهير العبسى يضرب بـه المثل فـى الشؤم ، لان الحرب جرت بسببه بين ذبيان وعبس اربعين سنة ، ولاحق اسم فرس لمعاوية بن ابى سفيان والرهان : المسابقة بين الخيل على سبق ، والسبق ما يجعل للسابق ، والشأو : الغاية والمدى.

[تَقْدَحُ نِيرَانَ الْحُبَاحِبِ حَوَا   فِـرُهُ عِنـد خَبَـبٍ وَطَلَـقِ]

قدح النار: أوراها ، وبابه قطع ؛ والنيران : جمع نار قلبت الواو فيه ياء لانكسار ما قبلها ، وتجمع أيضا على نور وأنور والحباحـب : ذبابة تطيـر بالليل ، ويرى فى طرف جناحها شعـاع كالسـراج ، فمنه قيل للنـار الضعيفة نار

الحباحب ، وللنار التى توقدها الخيل بسنابكها من الحجارة والحوافر جمع حافر : وهو للدابة بمنزلة القدم للانسان . والخبب نوع من العدو وهو أن يراوح الفرس بين يديه ورجليه ، والعلق : الشوط . أى جرى الفرس لا يحتبس الى غاية ، يقال عدا الفرس طلقا أو طلقين ، كما يقال شوطا أو شوطين .

[كَالرِّيح فِي هُبُوبِهِ وَالسِّمْع فِي وُثُوبِهِ وَكَالْمَهَا فِي فَشَقِ]

أى هذا الفرس هو فى هبوبه : أى سرعته كالريح ، وفى وثوبه كالسمع وتقدم انه ولد الذئب من الضبع ، وهو فى عدوه أسرع من الطير ، ووثبته أكثر من ثلاثين ذراعا وفى فشقه : اى نشاطه ومرحه : كالمها جمع مهاة : وهى البقرة الوحشية

[بِهِ أَجُوسُ فِي خِلَالِ دَارِهَا وَأَنْثَنِي كَالْبَارِقِ الْمُؤْتَلِقِ]

جاس خلال الديار : اذا تخللها ، فطلب ما فيها كما يجوس الرجل الاخبار : أى يطلبها ، وبابه قال ، واجتاسها مثله ، وانثنى : رجع وانعطف ، والبارق المؤتلق سبق تفسيره . يقول : انه بهذا الفرس يمكنه ان يغير على منازل قومها فيفتقدها فيها ثم يعود عوده على بدنه فى مثل سرعة البرق الساطع ذى النور اللامع .

[فَإِنْ تَكُ الزَّبَّا دَخَلْتُ قَصْرَهَا وَكَقَصِيرٍ سُقْتُهَا لِلنَّفَقِ]

الضمير فى تلك لمحبوبته لبنى ، وتك مضارع كان الناقصة ، حذف نونها تخفيفا ، ولا يحذف الا اذا لم يله

ساكن ولا ضمير متصل وكان مجزوما كما هنا ، والزبا : اسم امرأة وهو ممدود وقصره ضرورة ، وقصير : اسم رجل ، والنفق : سرب في الارض له مخلص الى مكان ، والزباء هذه هي بنت عمرو بن الظرب صاحب الجزيرة وقنسرين ، وكان جذيمة بن الابرش ملك الحيرة غزا أباها فقتله فأطمعته في نفسها ووعدته أن تتزوج به فسار اليها فاغتالته ، وأراد قصير أحد رجاله أن يأخذ بثأره ، فجدع أنفه ولحق بها ، فقال إن عمرا ابن أخت جذيمة قد فعل بى ما ترين ، زعم انى أشرت على خاله بالخروج إليك حتى قتلته ، فأصغت إليه ووثقت به فاستعملته فى تجارتها بالعراق ، فأتاها بربح كثير أعطاه إياه عمرو المذكور ، فازدادت غبطتها به ، وذات مرة أتاها بدل السلعة برجال داخل الجوالقات على ظهور الجمال ، فلما أظلم الليل لم تشعر الا والمدينة قد دخلت عليها وهاجم عمرو قصرها ، فهربت من وجهه الى نفق كانت اتخذته فى قصرها ، فاقتحمه عمرو عليها لمعرفته به من وصف قصير له ، فحينئذ مصت خاتما كان فى يدها مسموما وقالت : بيدى لا بيد عمرو : فأرسلتها مثلا ، وماتت :

[وَمَنْ حَمَاهَا كَكُلَيْبٍ فَلَهُ جَسَّاسُ رُمْحٍ رَاصِدٍ بِالطُّرُقِ]

حماه يحميه حماية : دفع عنه ، وهذا شىء حمى : أى محظور لا يقرب ، وأحميت المكان : جعلته حمى ، وككليب حال من فاعل حمى والكاف اسمية بمعنى مثل ، وكليب اسم رجل وقوله فله جساس رمح ، الجملة جواب الشرط الذى هو منْ ، وإضافة جساس الى رمح من اضافة الصفة الى

الموصوف أى رمح جساس يبحث عن المقاتل ويفرى الكلى والمفاصل ، وراصد وصف لرمح ، ومعنى راصد حارس رقيب ، والكلام على الاستعارة ، والباء فى قوله بالطرق ظرفية ، وفى قوله : جساس رمح تورية ، فان ما يتبادر الى الذهن من معنى جساس أنه قاتل كليب ، ولكن المراد معناه البعيد على ما أشرنا اليه : وهى مرشحة بذكر كليب ورمح وراصد بالطرق لزيادة التعمية ، وكليب المذكور : هو وائل ابن ربيعة التغلبى كان سيدا مطاعا فى قومه يضرب المثل بعزته حتى انه كان يحمى مواقع السحاب ولا يورد مع إبله أحد ، وجساس هو ابن مرة البكرى كانت أخته تحت كليب، واتفق أن البسوس التميمية خالة جساس حضرت عند أختها أم جساس مع جار لها فأرسل ناقته فى حمى كليب فرماها كليب بسهم فاستصرخت البسوس جساسا فرصد كليبا وقتله فكان قتله إحدى الكبر لمكانه من قومه . وضرب بجساس المثل فى الفتك لذلك ، ثم ان المهلهل أخا كليب قام للاخذ بثأر أخيه فاتقدت الحرب بين بكر وتغلب أربعين سنة وتعرف بحرب البسوس .

[لَا بُدَّ لِى مِنْهَا وإِنْ تَحَصَّنَتْ   بِالأَبْلَقِ الفَرْدِ وبِالْخَوَرْنَقِ]

البد : العوض ، وقولهم . لا بد من كذا. أى لا مناص منه ، وتحصنت : تمنعت ، والابلق . الفرد ، حصن قديم كان للمسموأل بن عاديا فى تيماء من أعمال تبوك يضرب به المثل فى العزة ، وفيه يقول السموأل .

لنا جبل يحتله من نجيره
منيع يرد الطرف وهو كليل

رسا أصله فوق الثرى وسما بـه
الـى النجم فـرع لا ينـال طويـل

والخورنق هو قصر للنعمان الاكبر ملك الحيرة، وكان من فخامة البنيان وحسن الاتقان على جانب عظيم ، وللشعراء فيه كلام كثير .

[لَا بُدَّ لِي مِنْهَا وَإِنْ عَثَرَتْ فِي ذَيْلِ الْحُسَامِ وَالسِّنَانِ الأَزْرَقِ]

عثر في نوبه يعثر بالضم عثارا ، زل ، والاسم العثرة والذيل : الطرف وأصله للثوب ، واستعاره هنـا للحسام : وهو السيف ، والسنان : الرمح ، ويوصف بالازرق لشدة صفائه وترقرق مائه ، وكنى بهذا عن كثـرة الشجعان من قومها الذيـن يخفرونها إذ أنهـا لازم كثرة الاسلحة وأعتدة الحرب التى لم يبل (1) بالوطء عليها ولم يتهيب التعثر فيها.

[فَانْ ظَفِرْتُ بِالْمُنَى مِنْ وَصْلِهَا بَالَغْتُ فِي صِيانَةِ الْعِرْضِ النَّقِي]

الظفر : الفوز ، وقد ظفر بعدوه من باب طرب ، والمنى جمع منية : وهي البغية ، والصيانة : الحفظ ، والعرض ما يذم او يمدح من الانسان من نسبه وحسبه وما اشبه ذلك، ويريد أنه اذا ظفر بما يتمناه من وصلها لم يقصر في ايثار العفة والاستمساك بحبلها لكي يبقى عرضة نقيا ويكون حبه عـذريا .

[وَإِنْ بَقِيتُ مِثْلَ مَا كُنتُ فَلَا زِلْتُ بِغَيْضِ مَضْجَعِي وَمُغْرَقِي]

1) بضم الياء وفتح الباء.

[أشُنُّ كُلَّ غارةٍ شعْوا علــى   منْ يحمِها فى مِقْنَــبٍ وفَيْلَقِ]

[وفى خَميس منْ خيارِ يعْرُب   ذوى رماحٍ وخيولٍ سُبُــقِ]

[منْ أُسرتى بنى مُلوكٍ فهُمُ   أطْوعُ لىِمنْ سَاعدى ومَرفقى]

أى وان تكن الاخرى فلم أصل اليها ولم أظفر بها ، فلا زلت الخ ، فلا دعائية اقترنت بالفاء لموضع الجملة من جواب الشرط، وبغيض فعيل بمعنى مفعل ، والمضجع اسم مكان، من ضجع : أى وضع جنبه على الارض وبابه قطع وخضع ، فهو ضاجع ، والنمرق كالنمرقة : الوسادة الصغيرة ، وهذه كناية عن هجران النوم . وقوله : أشن كل غارة ، يقال شن عليهم الغارة : أى فرقها عليهم من كل وجه وبابه رد، وأشنها أيضا والغارة : الخيــل المسرعــة المغيــرة ، والشعواء : الفاشية المتفرقة وهو ممدود. وقوله على من يحمها، الاصل يحميها لان من ها هنا موصولة وليست جازمة، فحذفت الياء تخفيفا، وبقيت الكسرة دليلا عليها: وهى لغة والمقنب. الجماعة من الخيل تجتمع للغارة ، والفيلق . الجيش العظيم ، والجار والمجرور متعلق بأشن . وقوله : وفى خميس معطوف على مقنب ، والخميس الجيش سمى بذلك لاشتماله على خمسة أقسام. مقدمة، وساقــة، وميمنة، وميسرة، وقلــب، ويعرب هو ابن قحطان. أبو العــرب اليمانيــة، وسبق جمع سبوق وقوله من أسرتى : بيان لخيار والاسرة. أهل الرجل وذووه، وبنى ملوك عطف بيان على أسرتى ، وهو لقب أسرتــه . وقوله : فهم اطوع لى من ساعدى ومرفقى : أى أكثر طواعية لى من هذين . وفيه اشارة الى انه عزيز فى قومه نافذ الامر

فيهـــم ، ومـــا أحسن موقع الساعد والمرفق فى هذا المحل لاشتقاقهما من المساعدة والارتفاق.

ومن هنا انتقل الناظم من غرض الحماسة الى غرض الفخر كما ترى .

[سَلِ ابْنَ خَلْدُونَ عَلَيْنَا فَلَنَا بِيمَـــنٍ مَآثِـــرٌ لَـــمْ تُمْحَـــقِ]

ابن خلدون : هو ولى الدين أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون الحضرمـــى المـــؤرخ والناقد الاجتماعى المشهور . وعلينا بمعنى عنا كما فى قول الشاعر :

اذا رضيت على بنـــو قشيـــر لعمـــر الله أعجبنـــى رضاها

واليمن : قطر معروف من بلاد العرب ، ومآثـــر جمع مأثرة بفتح الثاء وضمهـــا وهـــى المكرمـــة ، لانها تؤثر : أى يذكرها قرن بعد قرن ، والناظم نسبه فى حمير ملوك اليمن، فلذلك أحال على مراجعة ابن خلدون لمعرفتـــه مآثر أسلافه، ومفاخر جدوده .

[وَسَلْ سُلَيْمَانَ الْكَلَاعِي كَمْ لَنَا مِـــنْ خَبَرٍ بِخَيْبَرٍ وَخَنْـــدَقِ

[وَيَـــوْمَ بَـــدْرٍ وَحُنَيْنٍ وَتَبُو كٍ وَالسَّوِيقِ وَبَنِى الْمُصْطَلَقِ]

الكلاعى هو الحافظ أبو الربيـــع سليمان بـــن موسى الكلاعى البلنسى المتوفـــى سنة 634 ولـــه كتاب (الاكتفا فى سيرة المصطفى) صلى الله عليه وسلم وهو الذى عناه الناظم لتضمنه الكلام على الغزوات المذكـــورة، ومقصـــوده الفخر بمشاهد الانصار هذه وغيرها مع النبى صلى الله عليه وسلم لان اصل نسب الانصار فى عرب اليمن فهو منهم، وكم هنا استفهامية، وخبرها الجار والمجرور، ومن خبر تمييز لها،

وبخيبر متعلق بالاستقرار العامل فى الجار والمجرور، وبين خبر وخيبر الجناس المذيل وخيبر وما بعدها أسماء مغاز له صلى الله عليه وسلم .

[بِهِمْ فَخَرْتُ ثُمَّ زَادَ مَفْخَرِى بِأَدَبِى الغَضِّ وَحُسْنِ مَنْطِقِى]

أى بهؤلاء فخرت لا بسواهم ، فتقديم المعمول يؤذن بالحصر وفخر من باب نفع ، والمفخر مصدر ميمى ، والادب المراد به هنا : علوم العربيّة من نحو وبيان ولغة وعروض ، وأيام العرب وأخبارها ومـا الى ذلـك ، والغض : الطرى ، يريد انه ممن يفاخر بموجـوده وجدوده ، وقديمه وجديده . لا كالذى يعول على الاحساب ويتجرد من محاسن الآداب .

[وَزَانَ عِلْمِى أَدَبِى فَلَـنْ تَرَى مِنْ شِعْـرِهِ كَشِعْرِىَ المُنَمَّقِ]

[فَإنْ مَدَحْتُ فَمَدِيحِى يُشْتَفَى بِهِ كَمِثْـلِ العَسَلِ المُرَوَّقِ]

[وَإنْ هَجَوْتُ فَهِجَائِى كَالشَّجَى يَقِفُ فِى الحَلْقِ وَمِثْلَ الشَّرَقِ]

زان الشـىء يزينه ، من بـاب باع : حسنه وزخرفه ، والعلم كذلك يزينه الادب حتى إنهم يقولون: اجعل علمك ملحـا وأدبـك دقيقـا ، وقوله : فلن ترى من شعره كشعرى المنمق : ذلك نتيجة اجتماع العلم والادب اللذين ادعاهما لنفسه ، ولن ليست لتأبيد النفى ولا لتأكيده ، والمنمق : المزين، وقوله: فان مدحت، المدح: الثناء الحسن ، وبابه قطع ، وكذا المدحة بالكسر والمديح والامدوحة بضم الهمزة والمدح من أغراض الشعر العربى الغالبة فيه والمروق المصفى من روقت الشراب والراووق : آلة التصفية ، ونسبة الشفاء

إلى العسل حقيقة لا مرية فيها ، وقد نطق بذلك القرآن . قال تعالى : «يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس» ولكن نسبته الى المديح مجاز ، وقوله : وان هجوت : الهجاء ضد المدح ، وبابه عدا ، والشجا ما ينشب فى الحلق من عظم وغيره ، وقد شجى كصدى ، والشرق : الغصة ، وفعله كطرب

[فَإنْ يَكُ الشِّعْرُعصىغيرِىفَقَدْ أَطَاعَنِى فِى عَيْهَقٍ وَحَنَقِ]
[وَإنْ يَكُنْ سَيفاً مُحلَّى فَلَقَدْ أَبْلَى نِجَادُه عِنَاقُ عُنقِى]
[وإنْ يَكُنْ بُرداً فَقَدْ صِرتُ بِه مُعْتَجِراً دُونَ جَمِيعِ السُّوَقِ]
[وَإنْ يَكُنْ تَاجاً فَقَدْ زَادَ سَناً جَوهره مُذْحَلَّ فَوْقَ مَفْرَقِى]
[وَإنْ يَكُنْ حَدِيقَةً فَطَالَمَا نَزَّهتُ فِيهَا خَاطِرِى وَحَدَقِى]
[وَإنْ يَكُنْ بَحراً فَقَدْ غُصتُ عَلَى جَوهَرِهِ وَكُنْتُ نِعمَ المُنْتَقِى]

العيهق : النشاط ، والحنق : الغيظ ، وقد حنق عليه من باب طرب ، ومحلى مزينا ، والنجاد : حمائل السيف ، يقال فلان طويل النجاد، يكنى بذلك عن طول قامته، والعناق كالمعانقة مصدر عانق وهو مضاف الى فاعله ، وهذه كناية عن الملازمة وطول الصحبة ، فهو يريد انه قديم العهد بقوله مداوم عليه ، والبرد : الكساء ، ومعتجرا : مشتملا، والسوق جمع سوقة وهو غير الملك من الناس ، وفيه تعريض بغيره من الشعراء وانتقاص لهم ، والسنا : الضوء ، وحل : نزل بالمكان ومنه سمى المكان محلا، والمفرق بكسر الراء وفتحها

وسط الرأس ، وهو الموضع الذى يفرق فيه الشعر ، والحديقة : الروضة ذات الاشجار ، والخاطر المراد به الفكر والبال ، والحدق : جمع حدقة ، وهى سواد العين ، وغصت أى نزلت تحت الماء ، والغواص بالتشديد الذى يغوص البحر على اللؤلؤ ، وفعله الغياصة وقوله: وكنت نعم المنتقى. تذييل حسن، والمنتقى : المتخير ، وقد أطنب الناظم فى وصف قدرته على الشعر وتصرفه فيه التصرف المطلق تأييدا لدعواه ، وتأكيدا لتفوقه على منافسيه من الشعراء .

[وَهَلْ أَنَا إلاَّ ابْنُ وَنَّانَ الَّذِى قَرَّبَهُ كُلُّ أَمِيرٍ مُرْتَقِ]

هل هذه بمعنى ما ، ولذلك أبطلها بالا نظير قوله تعالى : «هل جزاء الاحسان الا الاحسان» وابن ونان : كنية الناظم ، ويشير بقوله الذى قربه الخ. الى ما كان من تقريب السلطان سيدى محمد بن عبد الله لوالده واختصاصه به واشتماله عليه لما كان عليه من حسن الشمائل وكمال الآداب ثم تقريبه له أيضا بعد وفاة والده لما نظم هذه القصيدة ، وقصده بها حتى جعله شاعره، واصطفاه نديما له.

[أَحَقَّ مَنْ حُلِّىَ بِالاُسْتَاذِ وَالشَّيْخِ الفَقِيهِ العَالِمِ المُحَقِّقِ]

[وَبِالمُحَدِّثِ الشَّهِيرِوَالأَدِيبِوَالمُجِيدِ وَالبَلِيغِ المُفْلِقِ]

[وَأَعْلَمُ النَّاسِ بِدُونِ مِرْيَةٍ سِيَّانِ مَنْ فِى مَغْرِبٍ وَمَشْرِقِ]

[بِالشِّعْرِ وَالتَّارِيخِ وَالأَمْثَالِ وَالأَنْسَابِ وَالآثَارِ سَلْ تُصَدَّقِ]

أحق بمعنى أولى ، وحلى : أى وصف ، والاستاذ : العالم الماهـر ، والشيـخ المـراد به : العالـم المقتدى به المأخوذ عنه ، والفقيـه : صاحب الفقه وهـو العلم بالاحكام الشرعية ، والمحقق : المبالـغ فـى تعرف حقائق المسائل والمحدث : صاحـب الحديـث ، وهو علم السنة النبوية ، والاديـب : العـارف بفنـون الادب ، والمجيـد : المتقن ، والبليغ : المتصف بالبلاغة ، وهى مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع كونه فصيحـا ، والمفلق مـن أفلق الشاعر : أتى بالفلـق : أى الامـر العجيـب ، وبدون مرية : بغير شك ، وسيان : تثنية سـى بمعنى مثـل ، واستغنوا به عن تثنية سواء ، وبالشعر متعلق بأعلم ، والامثال جمع مثل : وهو ما شبه مضربه بمورده ، والآثار جمع أثر : وهو الكلام المأثور: أى المنقول عن أئمة السلف رضى الله عنهم ، وهذه العلوم منها ما كان عند العرب ، ومنها ما حدث فى الاسلام ، وقد وصف النـاظم نفسه فـى هذه الابيات بأوصاف ضخمة ولم يناسب بينها ، وانما ذكرها حسبما سمح له الوزن .

[فَبَشِّـرْنَ ذَاكَ الحَسُودَ أَنَّهُ   يَظْفَرُ فى بَحْرِ الهِجَا بِالغَرَقِ]

[وَقُلْ لَهُ اذَا اشْتَكَى مِنْ دَنَسٍ   أَنْتَ الَّذِى سَلَكْتَ نَهْجَ الزَلَقِ]

[وَفُقْتَ فِى الجُرْأَةِ خَاصِي أَسَدٍ   فَمُتْ بِغَيْظِكَ وَبِالرِّيقِ اَشْرَقِ]

الحسود : صيغة مبالغة ، مـن الحسد ، والبشارة لا تكون الا بالامر المحمود فهى هنا للتهكم كما فى قوله تعالى «فبشرهم بعذاب اليم» والدنس الوسخ، ويستعار للمعنويات كالخلق والعرض : أى تجاوزت فى الجسارة من يحاول خصاء

الاسد ، وهي محاولة لا شــك في أنها جريئــة ، وبالريق اشرق : أي غص بريقك. والمعنى : لا تشتك من هجائي لك فأنت الذي جاوزت حدك وساجلت من لا طاقة لك به :

[وَمَا الَّذِي دَعَاكَ يَا خَبُّ إلَى ذَا الأُفْعُوَانِ ذِي اللِّسَانِ الفَرَقِ]

[نَطَقْتَ بِالــزُّورِ أمَا كُنْتَ تَعِي أنَّ البَــلاَ مُوَكَّــلٌ بِالمَنْطِــقِ]

[وَلَمْ تَخَفْ مِنْ شَاعِرٍ مَهْمَا انْتَضَى سَيْفَ الهِجَا فَرَى حِبَالَ العُنُقِ]

الخب بالفتح والكسر : الرجل الخداع، وذا اشارة ، والافعوان : ذكــر الافعى ، وهو أخبــث الحيات ، واستعاره لنفسه ، وذي بمعنى صاحب، والفرق : المفروق كالقنص بمعنى المقنوص ، وفيه ترشيح للاستعارة ، لان الفرق في ألسنة الحيات معهود ، والزور : الكذب ، وتعي : تحفظ ، وجملة أن البلاء في موضع مفعول تعي : أي هذا الكلام ، وهو من قول سيدنا ابى بكــر الصديــق رضي الله عنه. وقوله : مهما انتضى سيف الهجا :أي استله ، وهو استعارة، وفرى : قطع ، وحبال العنــق : المراد بهــا الاوداج ، وهو من قوله تعالى «ونحن أقرب اليه من حبل الوريد» .

[فَلْــتَــقِ نَفْسَــكَ بِكَفِّــكَ وَلاَ تَسُمْ فَصِيحَ النُّطْقِ بِالتَّمَشْدُقِ]

[فَذَاكَ خَيْرٌ لَكَ وَاسْتَمِعَ الَى نُصْحِ الْحَكِيمِ الْمَاهِرِ الْمُدَقِّقِ]

الاتقــاء باليد مــن شأن الجبناء الذين لا يستطيعون الدفاع، ولا يعرفون الا الخضوع ، فهو كناية عن التسليم والقاء السلاح، ولذلك يوجد في بعض النسخ :

* يا صاح سلم للورى تسلم ولا * الخ. وقوله ولا تسم هو مضارع سامه يسومه سوءا : اذا تعرض له به ، وبالتمشدق متعلق بتسم ، ومعناه : تكلف الفصاحة ، ومحاولة الكلام بكلا الشدقين تشبها بالفصحاء : أى أبق على نفسك ولا تفضحها بمطاولة من لا تستطيع له مطاولة ، ولا تطيق منه مساجلة ، وخير لك انّ تلقى السلاح الذى لم تعرف كيفية استعماله وتصغى الى نصح الحكيم الماهر لتنتفع بمضامين أقواله

[فَكُنْ مُهَذَّبَ الطِّبَاعِ حَافِظاً لِحِكَمٍ وَأَدَبٍ مُفْتَرِقِ]

[وَعَاشِرِ النَّاس بِخُلُقٍ حَسَنٍ تُحْمَدْ عَلَيْهِ زَمَنَ التَّفَرُّقِ]

التهذيب : التنقية ، والطباع : الخلق ، وهو مفرد وجمعه طبع ، ككتاب وكتب. قال المتنبى :

يراد من القلب نسيانكم ويأبى الطباع على الناقل

والمراد بالحكم والادب المفترق : الامثال السائرة ، والابيات النادرة ، والنكت الرائقة ، والفقر الفائقة ، مما يحاضر به ويحسن موقعه فى مساقط الحديث ، وبه يستدل على مزيد فضل المتكلم وحسن ادبه . وقوله وعاشر الناس: أمر من المعاشرة وهى المخالطة ، وتحمد مجزوم فى جواب الطلب : أى يحمدك الناس عليه حتى بعد ان تفارقهم :

[وَلاَ تُصَاحِبْ مَنْ يَرَى لِنَفْسِه فَضْلاً بِلاَ فَضْلٍ وغَيْرَ الْمُتَّقِى]

[وَكُلَّ مَنْ لَيسَ لَهُ عَلَيْكَ مِنْ فَضْلٍ فَلاَ تُطْعِمْهُ بِالتَّمَلُّقِ]

الذى يرى لنفسه فضلا بلا فضل هو المدعى المتحلى

بما ليس فيه ، واول نقصه الكذب وكذبه : أشنع الكذب لانه يكذب نفسه والنـاس. وقوله وغيـر المتقى من عطف الخاص على العام، نكتته التنبيه على مزيد ضرر هذه الصحبة فى الدين والدنيا . وقوله : وكل من ليس لـه الخ معناه : لا تتملق لمن ليس له عليك فضل فى علم ولا دين ، وتتواضع له فتطمعه فى نفسك ويزدريك ويخزيك ، وفـى الحديث «من تواضع لغنى لاجل غناه ذهب ثلثا دينه» .

[وفوقَـنْ سَهمَ النميرىِّ لِمنْ   لِطُـرقِ العَليـاءِ لَمْ يوفَـقِ]

فوق السهم: جعل له فوقا بالضم، وهو شق فى رأسه حيث يجعل الوتر ، وسهم النميرى : مثـل مضروب فى الاصابة وعدم الخطأ والنميرى صاحبه : هو أبو حية الشاعر زعم انه عرض له مرة ظبى فرماه بسهم فراغ عنه فعارضه ، فما زال حتى اقصده وهذا من اكاذيبه ، وطرق العليـاء : المـراد بها اسباب المجد وما يكسب الحمد ، والتوفيق التيسير : اى لا تقصر فى ملامه وانتقاصه ، مثل سهم النميرى فى طلب الصيد واقتناصه :

[وَافعَل بِمَنْ تَرتَابُ منهُ مثلَ فعْـلِ الْمتلمِّسِ اللَّبيبِ الْحَذقِ]

[أَلْقَـى الصحِيفَةَ بنَهْرِ حيرَة   وَقَالَ يا ابْنَهِنْدِ ارعُدْ وَابرُق]

ترتاب منه : تشك فيـه ، والمتلمس : اسم رجـل ، واللبيب : العاقـل ، والحذق : الماهـر ، وألقى : رمى ، والصحيفة : الكتاب ، وبنهر حيـرة : أى فيه وهى الحيرة، وحذف أل للضرورة ، وقـال : أى المتلمس : ارعد وابرق

أي تهدد الآن ، وأوعد ما شئت ، وكان المتلمس وفدهو وابن أخته طرفة بـن العبد علـى الملـك عمرو بن هند صاحب الحيرة ، فبقيا مدة لا يصلان اليه ، وكأنـه استخف بهما ، فهجاه طرفة فبلغه ذلك فهم بقتله لكنه خاف هجاء المتلمس ايضا ، فقـال لهما : لعلكمـا اشتقتما لاهلكما ؟ قالا نعم . فكتب لهما صحيفتين ، وقال : اذهبا الى عاملي بالبحرين فقد امرته ان يصلكما ، وكان فى الصحيفتين الامر بقتلهما، فأما طرفة فمضى الى العامل فقتله وأما المتلمس فانه اشتبه بأمر الصحيفة فأعطاها إلى صبى فقرأها له فنجا بنفسه ، وبقى أمر صحيفته مثلا مضروبا فى الحذر والاخذ بالحزم .

[ولا تَعِـدْ بِـوَعْدِ عرقُوبٍ أخًا   وفِـهْ وفَاسموءَلٍ بـالأبْلَـقِ]

[شَحَّ بِأدْرُعِ امْرِيءِ القَيْسِ وقَدْ   تَـرَكَ نَجْلَـهُ غَسِيلَ العَلَـقِ]

الوعد يستعمل فى الخير والشر ، والمراد هنا الخير، إذ هو الذى يطلب فيه التنجيز وعدم التأخير ، فقوله : ولا تعد بـوعد عرقـوب : أى بمثل وعده ، وأخا مفعول بتعد ، وعرقوب رجل يضرب به المثل فى اخلاف الوعد ، يقال انه أتاه أخ له يسأله تمرا فوعده تمـر نخلة من نخله ، وقال : إذا طلع فائتنى : فلما طلع قال اذا أبلح ، فلما أبلح قال اذا أزهى ، فلما ازهى قال اذا أرطب ، فلما ارطب قال اذا صار تمرا ، فلما صار تمـرا جذه ليـلا ولم يعطه شيئا ، فضربت العرب المثل به فى الخلف . قال كعب بن زهير :

أضحت مواعيدعرقوب لها مثلا   ومـا مواعيدهـا الا الاباطيل

وقولـه وفه هو فعـل امر من وفى ، ألحقت بـه هاء

السكت. وقوله وفا سموأل هو على حذف مضاف وموصوف: أي وفاء مثل وفاء السموأل وقصر وفاء ضرورة، وحذف أل من السموأل لذلك ، وبالابلق حال من سموأل وقوله شح : أى بخل ، والمراد لم يسلم ، وأدرع جمع درع : وهى القميص من الحديد يلبس فى الحرب ، والنجل : الولد ، وغسيل فعيل بمعنى مفعول والعلق . الدم ، ويشير الى قصة وفاء السموأل بن عاديا المشهورة والسموأل هذا : هو صاحب الابلق الفرد الذى تقدم وصفه وكان امرؤ القيس الشاعر المشهور لما اراد الخروج الى الروم استودع عنده مالا له ودروعا جيدة ، فلما هلك طالبه المنذر ابن ماء السماء بتسليمها اليه فأبى فنازل حصنه وهدده بذبح ولد له كان خارج الحصن ، فامتنع عن تسليمها ، فذبح ابنه وهو ينظر اليه ثم انصرق ووافى السموأل بالدروع الموسم فدفعها الى ورثة امرىء القيس ، فذلك حين يقول :

وفيت بأدرع الكندى إنى ... إذا ما خان أقوام وفيت

[وَمِثْلِ جَارٍ لابِي دؤَادَ لاَ ... تَطْمَعْ بِهِ إنْ لَمْ تَكُنْ بِالاحْمَقِ]

أبو دؤاد هذا : هو الايادى الشاعر المشهور ، وجاره كعب ابن مامة الجواد المشهور ، وكان اذا جاوره أحد قام بكل ما يصلحه وأهله ، وحماه ممن يريده ، واذا مات وداه ، وان هلك له بعير او شاة أخلف عليه . وقوله ومثل منصوب على الاشتغال بعامل مقدر يفسره ما بعده ، ويجوز رفعه بمرجوحية ومراد الناظم : الارشاد الى التوسط فى الامور أخذاً وتركا فان جارا مثل جار ابى دؤاد غير موجود، لكن ليس معنى هذا انقطاع الجوار اصلا ، وانما ذلك على نسبة

الزمان والمكان وأهلهما صلاحا وفسادا . فينبغى للعاقل ان لا يشتط فـى طلـب الكمال خصوصا عند فساد الوقت فان ذلك من التعمق المذموم ثم عطف الناظم بهذا المعنى قوله :

[وَاحْمَدْ جَلِيساً لاَ تَخَافُ شَرَّهُ   وَكَابْنِ شَوْرٍ لَنْ ترى مِنْ مُطْرِقِ]

الحمد : الثناء ، والجليس : المجالس كالانيس بمعنى المؤانس وهو مثله لفظا ومعنى : أى اكتف به اذا وجدته ، فان امن شر الجليس اليوم خير كثير ، وكابن شور : وهو الجليس الذى يؤمن شره ويرجى خيره ، لن ترى من مطرق، وابن شور : هو القعقاع بن شور احد سراة التابعين يضرب به المثل فى حسن العشرة وكرم المجالسة ، كان اذا جلس اليه احد وصله واثنى عليه ، ولاحد الاعراب فيه :

وكنت جليس قعقاع بـن شور   ولا يشقـى لقعقـاع جليس
ضحوك السن إن نطقوا بخير   وعنـد الشر مطراق عبوس

فهذا قول الناظم : لن ترى من مطرق ، وهو اسم فاعل من اطـرق : أى سكت فلـم يتكلم او ارخى عينيه ينظر الى الارض :

[وَنَمْ كَنَوْمِ الْفَهْدِ أَوْ عَبُّودَ عَنْ   عَيْبِ الْوَرَى وَالظَّنَّ لاَ تُحَقِّقِ]

المراد بالنـوم : التغافـل ، فهو استعارة ، والورى : الناس، والفهد : نوع من السباع بين الكلب والنمر ، يضرب به المثل فى كثرة النوم ، وعبود : عبد اسود نام سبعة ايام متوالية فضرب به المثل ، وقيل نام سبعة اعـوام . وقوله والظن لا تحقق : أى اذا ظننت سوءاً باحد فلا تحاول تحقيقه، وهذا من قوله صلى الله عليه وسلم «ثلاثة لا ينجو منها احد:

الظن، والطيرة، والحسد. قيل فما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال اذا ظننت فلا تحقق ، واذا تطيرت فامض ، واذا حسدت فلا تبغ» .

[ولتكُ أبصَر مِنَ الهُدهُدِ والزَّ رقَا بعيبِ نفسكَ المُحقَّقِ]

أى ذا اغضيت عن عيوب الناس المظنونة فكن بعيوبك المحققة بصيرا ، والهدهد : طائر ذو خطوط والوان كثيرة يضرب به المثل فى قوة البصر ونفاذه ، والزرقاء بالمد وقصرها الناظم ضرورة : هى زرقاء اليمامة امرأة مشهورة بقوة البصر ، كانت تبصر الشيء من مسافة ثلاثة ايام. قيل انها رأت ذات يوم سرب قطا يطير بين جبلين وكانت لها قطاة، فقالت : .

ليت الحمام ليه إلى حمامتيه
ونصفه قديه تم الحمام ميه

فوقع فى شبكة صائد فوجد ستا وستين كما قالت.

[وكُنْ كمثلِ واسطيٍّ غفلةً عَنْ شتمِ ضارعٍ وعتبِ سقِقِ]

الواسطى نسبة الى واسط : وهى مدينة بناها الحجاج بين البصرة والكوفة وكان يسخر اهلها فى البناء ، فكانوا يهربون وينامون وسط الغرباء فى المسجد فيجىء الشرطى فيقول : قم يا واسطى ، فمن رفع رأسه اخذه فتلك غفلة الواسطى ، والضارع : الذليل ، والسقق : المغتاب :

[واعدُ على رجلى سليكٍ هارباً مِنْ قربِ كُلِّ خنبقٍ وسهوقِ]

العدو: الجرى. وقوله على رجلى سليك أى على مثلهما:
أى اجر جرى سليك هربا من قرب الخنبق : وهو البخيل، والسهوق وهو الكذاب والمراد : لا تخالطهما لئلا يؤذياك ، وسليك: وهو ابن السلكة، احد العدائين العرب :

[وَكُنْ نَدِيمَ الْفَرْقَدَيْنِ تَنجُ مِنْ مُنقِّصٍ وَمِنْ طُرُوِّ الرَّنَقِ]

أى كن مثل نديم الفرقدين فى اعتزال الناس تنج من منقص : أى ممن يقع فيك ويثلبك ، ومن طرو : أى حدوث ، الرنق : أى الكدر ، من رنق الماء بالكسر ككدر وزنا ومعنى ونديم الفرقدين : هو جذيمة بن الابرش ، وكان قد اتخذ عدى بن نصر اللخمى نديما : وهو شاب جميل من ابناء ملوك الحيرة اللخميين ، فرأته أخت جذيمة فأحبته فسألته أن يخطبها من أخيها ، فتحين وقت شرابه فطلبها منه فزوجه اياها ، فأشهد الحضور ومضى فدخل بها ، فلما اصبح غدا عليه وهو متضمخ بالخلوق ، فسأله ما هذه الآثار ؟ فقال آثار العرس، فغضب جذيمة وهرب عدى ، وحلف جذيمة أن لا ينادم أحدا الا الفرقدين ، فكان يشرب كأسا ويصب لهما كأسين والفرقدان كوكبان يدوران على القطب الشمالى قريبا منه ، يضرب بهما المثل فى طول الصحبة ، ويقال عليهما : فرقد بالافراد ، وفراقد بالجمع :

[وَكُنْ كَعَقْرَبٍ وَضَبٍّ مع مَنْ عَلَيْكَ قَلْبُهُ امْتَلا بِالْحَنَقِ]

امتلا مخفف امتلأ ، والحنق : الغيظ ، وقد حنق عليه من باب طرب : أى لا تصارح عدوك بالعداوة ، وخاتله مخاتلة العقرب والضب ، والعرب تزعم ان بين العقرب والضب ألفة،

فهو يؤويها جحره ولا يأكل ولدها وهى تحرسه وتلسع من يقتحم جحره ، وفيهما قال الشاعر :

واخدع من ضب اذا جاء حارش   أعـد لـه عند الذنابـة عقربا

[ثُمَّتَ لَا تَعْجَلْ وَكُنْ أَبْطَأَ مِنْ   غُرَابِ نُوحٍ أَوْ كَفِنْدِ الْمُوسِقِى]

[مَضَـى لِـنَارٍ طَالِباً وَبَعْـدَ عَا   مٍ جَابِهَـا يَسُبُّ فَـرْطَ الْقَلَقِ]

أى واذا ظفرت به فلا تعجل بالانتقام منه ، وتأن واصبر لئلا تندم ولات ساعة مندم ، فان التأنى من الرحمن ، والعجلة من الشيطان ، وضرب المثل فى البطء بغراب نوح وفند الموسقى ، أما الغراب فهو الـذى ارسله سيدنا نوح عليه السلام لينظر هل زالت المياه عن الارض، ويأتيه بالخبر فلم يرجع، قيل انه أبصر جيفة فوقع عليها . وأما فند فهو مولى لعائشة بنت سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه كان مغنيا ، وأرسلته مولاته ليأتى لها بنار فلقى عيرا خارجة الى مصر ، فخرج معها ثم رجع بعد سنـة فأخذ نـارا ودخل عليها وهو يعدو ، فعثـر بمرأى منها ، وبـدد الجمـر ، فقال : تعست العجلة ، فهذا معنى قوله : مضا لنار الخ ، وحذف التنوين من فند الموسقى لالتقاء الساكنين، والموسقى : نسبة الى الموسيقى بالياء وحذفها، وقصر جاء ضرورة ، وفرط القلق: كثرته .

[وَخُذْ بِثَـارِكَ وَكُـنْ كَمَنْ أَتَى   بِالْجَيْشِ خَلْفَ شَجَرٍ ذِى وَرَقِ]

الثأر : الدم والمطالبـة به ، وليس هـذا مخالفا لما قبله ، فغاية ما سبق الحـث علـى التروى ، ومعالجة الامر

بالرفق ، وليس النهـي عـن الثار بالاصالة ، وأشار الناظم الى قصة طسم وجديس وهما مـن القبائـل البائدة ، وكان عليهما ملك من طسم ظالم غشوم، فاستذل جديساً، واستباح حرمها فثاروا به وقتلوه واستأصلوا رجال قبيلته الا قليلا ، فهرب منهم واحد يقال له رباح بن مرة ولجأ الى حسان بن تبع أحد ملوك اليمن فاستنصره عليهم فنصره ومضى بجيشه حتى اذا كان على مسافة ثلاثة ايام من منازلهم ، قال أبيت اللعن ، ان فيهم امرأة ليس على الارض أبصر منها ، تبصر الراكب على مسيرة ثلاثة ايام واني اخاف ان تنذر القوم بك والرأي أن نأمـر رجالـك فيقتلعـوا اشجار الارض فيسيروا تحتها ، ففعلوا وساروا ، ورأت المرأة الاشجار مقبلة فأنذرت قومها وقالت اني اخاف ان يكون من ورائها شر ، فتضاحكوا منها حتى صبحهم حسان وهم غارون فأفناهم ، وهذه المرأة هي زرقاء اليمامة التي تقدم ذكرها .

[وَانْتَهِزِ الفُرْصَةَ مِثْلَ بَيْهَسٍ وَبِالْمُدَى لَحْمَ العُـدَاةِ شَرِّقِ]

الفرصة النوبة : وهي اسم من تفارص القوم البئر. يقال جاءت فرصتك من السقي : أي نوبتك ، وانتهاز الفرصة : اغتنامها والمبادرة اليهـا ، وبيهس هـذا كـان رجلا مغفلا مستهانا به فاغار على اخوته وكانوا ستة اناس من اشجع ، فقتلوهم وتركوه لقلة غنائـه ، فبقـي مدة ولا طمع لامه في أخذه بثـأر اخوتـه ، حتى اذا سمع مرة ان ناسا من اشجع في غار يشربون فيه ، فانطلق بخال له يقال له ابو حنش حتى اقامه على فم الغار ثم دفعه فيه فقال ضربا ابا حنش،

فقال بعضهم : ان ابا حنش لبطل ، فقال : مكره أخاك لا بطل فصارت مثلا ، وضرب بيهس وخاله القوم فقتلاهم ورجعا بأسلابهم ، فضربت العرب المثل ببيهس في النجدة والصرامة. وقوله: وبالمدى لحم العداة شرق المدى : جمع مدية وهي الشفرة ولحم العداة مفعول شرق مقدم عليه، وشرق امر من شرق اللحم : أى قطعة ، ومنه سميت أيام التشريق الثلاثة التى بعد يوم النحر، لان لحوم الاضاحى تشرق فيها .

[وَكَابْنِ قَيْسٍ بِهِمُ كُنْ مُولِماً   وَلِيمَةً شَهِيرَةً كَالْفَلَقِ]

[يَوْمَ مِلَاكِهِ بِأُمِّ فَرْوَةٍ   عَرْقَبَ كُلَّ ذَاتِ أَرْبَعٍ لَقِي]

ابن قيس هذا هو الاشعث بن قيس الكندى وسيد كندة رئيسها المطاع فى الجاهلية والاسلام ، كان ممن اسلم فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم ثم ارتد بعد وفاته فاحتمل الى ابى بكر ، فقال : استبقنى لحربك ورد علي زوجتي ، وكان قد خطب أم فروة أخت ابى بكر فى حياته صلى الله عليه وسلم ، ثم تأخر العقد فحقن ابو بكر دمه ورد عليه اهله فخرج ودخل السوق فاخترط سيفه ، ثم لم تلقه ذات اربع الا عرقبها من بعير وبقرة ، ففزع الناس الى ابى بكر فبعث اليه فقال من كان له قبلي حق فليغد علي ، وانا والله لو كنا ببلدنا لأولمنا ، فلم تبق دار فى المدينة الا دخلها من ذلك اللحم ، وضرب اهل المدينة المثل بوليمته قوله : بهم كن مولما الضمير يعود الى العداة ، والوليمة : طعام العرس ، والفلق : الصبح ، والملاك : الزواج ، وهذا من تمام ما قبله يقول : اذا امكنتك الفرصة من أعدائك فلا تقصر فى التنكيل

بهم و الانتقام منهم ، وأولم على ذلك وليمة مثل وليمة ابن قيس ، وهو فى هذا ذاهب مذهب المتنبى اذ يقول :

ومن عرف الايام معرفتى بها   وبالناس روى رمحه غير راحم
فليس بمرحوم اذا ظفروا به   ولا فى الردى الجارى عليهم بآثم

[وَلاَ تَـدَعْ وَإنْ قَـدَرْتَ حِيلَةً   فَهِـيَ أَجَـلُّ عَسْكَرٍ مُدَهْدَقِ]

المدهدق اسم فاعل من دهدقت الشيء : كسرته ، وكذا دهقته : أي لا تدع الاخذ بوجوه الحيل ، لا فى حال عجزك فقط : بل حتى فى حال قدرتك ، لان فى الحيلة بلوغ المراد مع تقريب الشقة وتقليل المشقة ، وهذا من قولهم : رب حيلة أنفع من قبيلة .

[إنْ كَانَ فى سفك دم العِدَا الشِّفَا   سَفْكُ دَمِ البَرِيءِ غيرُ أَلْيَـقِ]

سفك الدم : إسالته ، وسفك من باب ضرب ، والعدا والعداة والاعداء واحد ، والشفا : اسم كان مؤخر ومقصور ضرورة ، وجملة سفك دم البـرىء جـواب الشرط ، وكان حقه ان يقترن بالفاء ، لكنـه خـرج مخرج قوله : «من يفعل الحسنـات الله يشكرهـا». وسفك مبتدأ، وغير أليق خبره . والمراد لائق ، وهذا البيت كالاستدراك على ما قبله : أي اذا أظفرك الدهر بمرادك من أعدائك ، فلا يطـوح بك الغرور الى الاعتداد بقدرتك فتعتدى على البرآء وتصير الى ما كنت تستنكره من غيرك :

[وَلاَ تُحَارِبْ سَاقِطَ القَدْرِ فَكم   من شاهة قد غلبـت ببيدق]

[وَكَمْ حبَارى أمّهَا صَقرٌ فلَمْ   يظْفَرْ بغَيْرِ حتفه بالـذَّرَقِ]
[وَكَمْ عيُونِ لأُسُودٍ دَمِيَتْ   بالْعَضّ منْ بعوضها الْمُلْتَصِقِ]
[وَالخُلْدُ قَدْ مَزَّقَ أقْوامَ سبَا   وَهَدَّ سَدًّا مُحكَمَ التّأنُّقِ]

أي لا تتنزل لحرب ساقط القدر : أي نازله ، والمراد بالحرب هنا : أسباب الخصام كلها، وذلك لان غلبته للانسان من أكبر العار ، والانتصار عليه كلا انتصار ، فأحاط الذم بالخطة من كلا جانبيها ، وارتبطت دواعي الحطة بطرفيها ، ومن قول امرىء القيس في المعنى :

[فانك لم يفخر عليك كفاخر   ضعيف، ولم يغلبك مثل مغلب]

وقد ضرب الناظم لانتصار الوضيع على الرفيع اربعة أمثال : أولها شاه الشطرنج ، يكسره بيذقه ، وهما قطعتان من قطع رقعة الشطرنج : أولاهما تنزل منزلة الملك ، ولذا سميت بالشاه ، والثانية بمنزلة الجندى فهى بآخر مرتبة فى نظامه ، وههنا اختلاف فى نسخ النظم ، ففى بعضها شاهة بزيادة تاء تأنيث ، وهى مؤولة باعتبار ان المراد القطعة المعروفة وفى نسخة أخرى شهة ولا وجه لها اصلا . وفى ثالثة شيه ، كأنه جمع شاه ولا مستند له ، وقول الناظم هذا : مأخوذ من قول ابن اللبانة . وربما قمرت بالبيذق الشاة . وثانيها الحبارى : وهو طائر معروف يضرب به المثل فى البله وهو مؤنث ، ولذا قال الناظم أمها : اى قصدها ، والصقر : طائر معروف من الجوارح ، والحتف : الهلاك ، والذرق : الخرء ، يقال ذرق الطائر يذرق ، من باب ضرب ونصر، وباء بالذرق للسببية، وهو يشير الى ما ذكره الجاحظ

عن الحبارى، من ان لها خزانة فى دبرها وامعائها، لها ابدا فيها سلح رقيق فمتى ألح عليها الصقر سلحت عليه فينتتف ريشه كله ، وفى ذلك هلاكه . وثالثها : الاسد تدمى عينه البعوضة . ورابعها الخلد الذى خرب سد مأرب ففاض السيل على بلاد اليمن فأهلكها، وهو سيل العرم المذكور فى القرآن العظيم ، والخلد : ضرب من الفيران يعيش تحت الارض ، ليس له عينان ولا اذنان ، وإدراكه بالشم ، ويجمع على مناجذ من غير لفظه .

[وَلاَ تُـنَقِّـصْ أَحَـداً فَكُلُّنَـا   مِنْ رَجُلٍ وَأَصْلُنَـا مِنْ عَلَقٍ]

هذا مفرع عما قبله فانه اذا كان الانسان لا يأمن من غلبة من هو دونه فـلا ينبغـى له ان يحتقـر احدا خصوصا والبشر كلهم أبناء رجل واحد ، وهو سيدنا آدم عليه السلام وأصلهم جميعا علق : أى دم غليظ : وهو المتكون من النطفة. قال تعالى «خلق الانسان من علق» .

[لاَ تُلْزِمِ الْمَرْءَ عيُـوبَ أَصْلِه   فَالْمِسْكُ أَصْلُهُ دَمٌ فِى الْعُنُقِ]

[وَالْخَمرَ مَهمَا طَهرتْ فَبينَهاَ   وَبيـنَ أَصْلهَـا بِحكـمٍ فَرْقٌ]

أى لا تحمل على المرء عيوب اصله التى لا يدله فيها، فانه لا ينبغى أن يحمد الانسان على شرف الاب ولا يذم عليه، كما لا يمدح الطويل على طوله ولا يذم القبيح على قبحه كما قال ابو حامد المروزى فيما حكاه عنه ابو حيان التوحيدى فالمسك الذى هو اطيب الطيب أصله دم ينعقد فى سرة غزال المسك فلو ألزمناه نجاسة أصله لم نتطيب به ، وكذا الخمر

النجسة تطهر فتصير خلا حلالا ، ولو اعتبرنا نجاستها الاصلية لم نستعمل الخل قط لانه لا يتخلـل حتى يتخمر ، ولذلك تسمى العرب الخل أم الخمر . وقول الناظم دم فى العنق : غلط ، وانما هو فى السرة كما علمت :

[ولا تُؤَيِّسْ طَامِعاً فى رُتْبَةٍ　　لنيلِهَا نظيرُه لَمْ يَرْتَقِ]
[فَالزُّردُ يومَ الغَارِ لَمْ يَثْبتْ لَهُ　　فَضْلٌ وكَانَ الفَضْلُ للخَدَرْنَقِ]
[وقَوسُ حَاجِبٍ بِرَهْنِهَا لَدَى　　كِسْرَى اطْمَأَنَّ قَلْبُهُ ممَّا لَقِى]

المراتـب ليست قياس التفاضـل عند العقلاء لانها لا تختص بالاكفاء ، بل قد ينالها من لا فضل له اصلا ، فلذلك لا يستغرب أن يطمع حقير فى رتبة عظيم فاحرى أن يؤيس منها ، والحقيقة ان ذلك راجع الى ما قدر فى الازل ، فكل من كتب له شيء لا بد ان يدركه ، وبذلك تعرف قدرة الله القاهرة فى رفع الوضيع ووضع الرفيع ، ومن قول المتنبى فى كافور مادحا له مدحا هو السخرية بعينها :

ولله سـر فـى عـلاك وإنما　　كلام العدا ضرب من الهذيان

قـال النـاظم : فالـزرد : أي واعتبر ذلك فى الزرد والخدرنق والزرد محركا: الدرع وسكنه ضرورة، والخدرنق: العنكبوت العظيمة ، وهو يشير الى قصة ايوائه صلى الله عليه وسلم الى الغار الذى فى جبل ثور حين خرج مهاجرا الى المدينة وخرج كفار مكة في طلبه، فوقاه الله أذاهم وامر العنكبوت ان تنسج على باب الغار ، حتى انهم لما قربوا منه ورأوا نسجها قالوا : ان عليه لعنكبوتا اقدم من ميلاد محمد،

وكلام الناظم هذا مأخوذ من البيت المشهور :

نسج داود لم يفد صاحب الـ ــغار وكان الفخار للعنكبوت

ثم قال الناظم : وقوس حاجب الخ ، وقوس حاجب هذه هي التي سبق ذكرها عند قوله : ومقلة ترمي بقوس حاجب. الخ ، وهو يشير الى قصة وفود حاجب بن زرارة التميمي على كسرى ابرويز منتجعا لقومه في أرض العراق ، فقال له من يضمن لي انهم لا يعيثون فـــي أطراف بلادي ؟ فقال حاجب أنا ، فقال فمن لي بأن تفي ، قـــال أرهنك قوسي فجاء بها فضحك من رآها لخستها ، فقال كسرى : ما كان ليسلمها في شيء أبداً وكان يعرف انه سيد تميم فقبضها منه ، وأذن لقومه في دخول الريف . فأنت ترى أن العنكبوت والقوس على حقارتهمـــا ، قد ارتقتا الـــى ما لم يرتق اليه ما هو أعلى منهما ، وأغلى من الدروع السابغة والاعلاق النفيسة:

[لَا تَغْشَ دَارَ الظُّلْمِ وَاعلَمْ أَنَّهَا أَخْرَبُ مِنْ جَــوْفِ حِمَارٍ خَلَقِ]

لا تغش : أي لا تحل ، والظلم ضد العدل ، وأخرب : أي اكثر خرابا من جــوف حمار . وهذا مثل تضربه العرب لخلاء الشيء ، وذلك ان الحمار اذا صيد لم ينتفع بشيء مما في جوفه بل يرمى به ، فهو خراب بهذا المعنى ، وخلق : بال ، وهو نعت لحمار ، وأمر خراب دار الظلم معلوم . وفي الكتاب العزيز «وما كنا مهلكــي القرى الا وأهلها ظالمون» ومن كلام ابي بكر رضي الله عنه : الملك يدوم على الكفــر ولا يدوم على الظلم .

[وَلاَ تَبِــعْ عِرْضَــكَ بِيعَةَ أَبِي غُبْشَانَ بَيْعَ الْغَبْنِ وَالتَّبَلْصُقِ]

[بـاعَ السِّدَانـةَ قُصَيـاً آخذاً عوضهـا نحيـاً مِنْ أُمِّ زَنْبَق]

العرض : موضع المدح او الذم من الانسان ، وغبشان بالضم والفتح ، وبيعة مصدر نوعي وهو مفعول مطلق ، وبيع المصدر الثانى بدل منه ، والغبن الخسارة ، والتبلصق : المكر والخديعة ، والسدانة : خدمة الكعبة، وهي من اشرف ولايات العرب الدينية وقصى: احد أجداد النبي صلى الله عليه وسلم والنحي الزق، وأم زنبق كجعفر من كنى الخمر، ويقرأ بنقل حركة الهمزة الى الساكن قبلها وإسقاط الهمزة . والمعنى: لا تعرض نفسك للذم حرصا على الاعراض الفانية مثل فعل ابى غبشان الخزاعى فى بيعه سدانة الكعبة، وكانت فى قبيلته من حين غلبت على مكـة فساومه عليهـا قصى بن كلاب وهو سكران فباعها له بزق خمـر ، فصـارت فى قريش وضرب المثل بوكس صفقة ابى غبشان. وقال الشاعر :

باعت خزاعة بيت الله إذ سكرت   بزق خمر لبيست صفقة البادى

باعت سدانتها بالنزر وانصرفت   عن المقام وظل البيت والنادى

[وَلاَ تَكُـنْ كَأَشْعَـبَ فَرُبَّمَـا   تَلْحَقُ يَوْماً وَافِدَ الْمُحَـرِّقِ]

أشعب هو الطماع المشهور، وكان من اهل المدينـة ولقى جماعة من التابعين قال: نشأت أنا وأبو الزناد فى حجر عائشـة بنت عثمـان، فلم يزل يعلو واسفل حتى بلغ كل منا المنزلة التي ترى ، ونوادره فى الطمع كثيرة: منها انه راى امرأة تعمل طبقا من خوص، فقال لها: زيديه طوقا او طوقين، فقالت أتريد ان تشتريه ؟ قال لا، ولكن عسى الذى يشتريه يهدى الي فيه شيئا . وقيل له ما بلغ من طمعك؟ فقال: تبعنى

الصبيان مرة، فقلت لهم: هذا سالم بن عبد الله فتح باب صدقة عمر فانطلقوا يعطكم تمرا ، فمضوا وابطئوا، فقلت لعل الامر كما قلت لهم، وتبعتهم، واما وافد المحرق، فهو رجل من البراجم كان عمرو بن هند عصب على بنى دارم فحلف ليحرقن مائة منهم فطلبهم فاستكمل تسعة وتسعين فأوقد عليهم فمر الرجل المذكور فاشتم رائحة القتار فظنها مأدبة، وكان جائعاً فمال نحو النار وحمل الى عمرو، فقال له ممن انت؟ قال من البراجم، قال ما جاء بك؟ قال الطعام. فقال عمرو: ان الشقى وافد البراجم فصارت مثلا وقذف به فى النار، وسمى عمرو ابن هند محرقا بفعله هذا، وبنو دارم من البراجم .

[ولا تكن كواو عمرو زائدا   فى القوم او كمثل نون ملحق]

أى واربأ بنفسك ان تكون زائدا فى القوم: أى طرفا فيهم كزيادة الواو فى عمرو للفرق بينه وبين عمر، والنون فى ضيفن مثلا لالحاقه بوزن جعفر، فان كلا منهما غريب عن بنية الكلمة، اتى به لغرض مخصوص لا علاقة لها به فضايقها واستثقلته حتى ضرب المثل بزيادته ، وهذا نهى عن التطفل بمعناه العام؛ فيشمل التطفل على الطعام والتحكك بأنساب الاقوام وادعاء العلم مع الجهل التام وغير ذلك مما تسوغه الوقاحة للئام :

[لا ترجون صفواً بغير كدر   فذا لعمر الله لم يتفق]

الصفو : الخالص من كل شىء ، وذا اشارة ، ولعمر الله قسم ، ولم يتفق : أى لم يتأت . والمعنى : لا تطمع فى صفاء العيش الذى لا تمازجه كدورة ، ولا تصحبه غير ، لان هذا

شيء لم يتهيأ لاحد من الناس، وقديما احصى الخليفة الناصر اوقات سروره فلم تجاوز اربعة عشر يوما ، ولقد قال الشاعر

لا طيبللعيش ما دامت منغصة   لذاتــه بادكار الموت والهرم

[لَا تَكْتُمِ الحَـقَّ وَقُلْـهُ مُعلِنًا   فَهوَ جَمالُ صَوْتِكَ الصِّهْصَلِق]

[وَصِحْ بِهِ شِبْهَ شَبيبٍ وَأَبي   عُرْوَةَ وَالعبَّاسِ عِنْدَ الزَّعَق]

كتم الشيء، من باب نصر، وكتمانا ايضا: ستره والصهصلق بياء بعد اللام وبدونها من الاصوات : الشديد، والزعق محركا الخوف، وشبيب هو ابن يزيد الشيباني الخارجي كان شجاعا صارما ، وخرج على عبد الملـك بن مروان ، فما زال امره يعلو حتى بايعه الخوارج، ومن شدة صوته انه كان اذا صاح في جنبات جيش انهزم : لا يلوى حميم على حميم وفيه البيت المشهور الذى نجا قائله من موت محقق بتصرفه في الاعراب، وهـو

فمنا سويد والبطين وقعنب   ومنا امير المؤمنين شبيب

وهو لابي المنهال منهم، ولما حمل الى عبد الملك قال له : أرأيت قولك: ومنا أمير المؤمنين شبيب. فقال: لم أقل كذلك وانما قلت أمير: اى بالنصب على النداء، فصرف الكلام من الخبر الى الانشاء وأزال الاعراب من الرفع الى النصب فعفا عنه لذلك. واما ابو عروة فهو رجل من العرب يضرب به المثل في جهارة الصوت ، ويقال له ابو عروة السباع لانه كان يصيح بالاسد وقد احتمل الشاة فيخليها . واما العباس فهو ابن عبد المطلب، عم النبي صلى الله عليه وسلم، ورضى عن العباس عمه، وكان صيتا، ولذلك امره النبي صلى الله عليه

وسلم لما انهزم الناس يوم حنين بالنداء، فجعل ينادى يا أصحاب السمرة، يعنى شجرة الرضوان، يا أصحاب سورة البقرة، فسمع الناس نداءه وأقبلوا كأنهم الابل اذا حنت على أولادها :

[لا تَأْمَنِ الدَّهْرَ فَإِنَّ خَطْبَهُ   أَرْشَقُ نَبْلًا مِنْ رُمَاةِ الْحَدَقِ]

المراد بالدهر حدثانه وصروفه ، والخطب الشأن والامر وغلب استعماله في المكروه والشدة، وأرشق أفعل تفضيل من رشقه بالنبل من باب نصر اذا رماه به ، والنبل : السهام العربية، وهى مؤنثة لا واحد لها من لفظها وقد جمعوها على نبال وأنبال ، ورماة الحدق : هم قوم من العرب اشتهروا بجودة الرمى يضرب بهم المثل، وقد وقع الخلاف فى تغيينهم:

[لاَ تَنْسَ مِنْ دُنْيَاكَ حَظًّا وَإِلَى   كَالطَّالَقَانِي وَالْخَصِيبِ انْطَلِقِ]

هذا كقوله تعالى ـ ولا تنس نصيبك من الدنيا ـ ولما كان الغنى عند الشعراء قديما لا ينال إلا من طريق مدح الكبراء والتعرض لجوائزهم قال: والى كالطالقانى الخ. والطالقانى هو الصاحب ابن عباد وزير بنى بويه وكان من دهاقين السياسة واساطين الادب واجتمع له من اسباب الفضل ما لم يجتمع لغيره وقصده الادباء ومدحه الشعراء وكان جوادا مفضالا . وأما الخصيب فهو ممدوح أبى نواس وعامل الرشيد فى مصر وكان من الاجواد المعدودين، وقد مدحه أبو نواس بأمداح بليغة حسده الخليفة عليه . منها :

ذرينى أكثر حاسديك برحلة   الى بلد فيها الخصيب أمير

ومنها :

أنت الخصيب وهذه مصر فتدفقا فكلاكما بحر

ومقصود الناظم عدم بذل الوجه إلا لمن كان كامل الصفات ظاهر المروءات ولذا عقب على ذلك بقوله :

[وَاعضُلْ كَهَمَّامٍ بَنَاتِ فِكْرَةٍ ضَنًّا بِهَا عَنْ غَيْرِ فَحْلٍ مُعْرِقِ]

[كَيْ لَا تَقُولَ بِلِسَانِ حَالِهَا مَقَالَ هِنْدِ أَلْقِ مَنْ لَمْ يَلْقِ]

[وَسَلْ مُهُورَ كِنْدَةَ إِنْ تُهْدِهَا لِذِي نَدًى كَالْبَحْرِ فِي تَدَفُّقِ]

العضل: المنع مطلقا، أو منع الايم من التزويج. قال تعالى ولا تعضلوهن أن ينكحهن أزواجهن ـ واستعاره هنا لمنع بنات الفكرة من غير الكفء وبنات الفكرة ما يصدر عنها من قصائد المدح ومقامات الثناء ، ضنا : أى بخلا ، والفحل : الذكر من كل حيوان ، والمعرق كالعريق الذى له اصل فى الكرم او اللؤم ، والمراد هنا الاول ، وألق من لم يلق : أى ارم من لم يصلح ، والمهور : جمع مهر ، وهو الصداق ، والندى : العطاء والتدفق : التصبب ، وهمام الذى مثل الناظم به: هو ابن مرة بن ذهل الشيباني، أخو جساس المقدم الذكر، وكان له ثلاث بنات فأبى ان يزوجهن حتى عنسن فسمعهن مرة يتمنين، فما عدا تمنيهن الزواج، وصفات الازواج الذين يردن ، وسمع صغراهن تقول : زوج من عود خير من قعود ، فقال : أخزاكن الله ثم زوجهن ، وهند التى فى كلامه هى بنت النعمان بن بشير الانصارى ، واراد ما قالته فى الحجاج وكان تزوجها :

وما هنــد الا مهرة عربية سليلــة افــراس تحللها نغل
فان انجبت مهرا كريما فبالحرا وان يك إقراف فما انجب الفحل

وكندة قبيلة من اليمن وكانت لا تزوج بناتها بأقل من مائة من الابل ، وربما مهرت الواحدة منهم ألفا فضرب المثل بغلاء مهورها ، وفــي قــول الناظم : واعضل الــخ استعارة مرشحة بذكر الفحل :

[لَا تَهجُ مَنْ لَمْ يُعْطِ واهجُ مَنْ أَتى إِلَى السَّرَاب بِالدِّلَاءِ يَسْتَقِى]

الهجو ضد المدح ، والسراب : ما يتراءى للعين من اشتداد الحر كأنــه مــاء وليس به ، والدلاء جمع دلو : وهو آلة السقى : أى أنك اذا قصدت ببنات افكارك غير أهل لها فمنعــك مــا تريده منه فــلا تهجه على فعله هذا : بل اهج نفسك لانها احق بذلك منه حيث عرفت بخله ورجوت نيله ، وكنى بالسراب عن الرجل البخيل .

[وَعُدْ لِمَا عُوِّدْتَ مِنْ بَذْلِ اللُّهَا فَالْعَــوْدُ أَحْمَــدُ لِكُــلِّ مُمْلِقِ]

البذل : العطاء ، واللها : جمع لهوة بضم اللام فيهما : العطية دراهم كانت او غيرهــا ، وبالفتح جمع لهاة ، وهى اللحمة التى فى سقف الحلق ، ويقال فى المثل : إن اللها تفتح اللها ، والعود أحمد : اى أكثر حمداً ، لان الابتداء إذا كان محمودا كان العود أحق أن يحمد، وهو مثل. ولكل مملق: اى فقير ، وفى القرآن ــ ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق ــ وهذا البيت فى الذى يطلب حاجة من جواد فلا ينيله إياها فلا ينبغى ان يعرض عنه وفى جوده مبرر للعود إليه فربما ينال منه ما هو اعظم منها ، وما احسن قول أبى وجــزة السعدى

للمهلب بن ابى صفرة وقصده فى حاجة ، فقال له المهلب : هل اتيتنا بوسيلة ؟ قال لا ولكنى رأيتك لحاجتى أهلا ، فان قمت بها فأهل ذلك، وإن يحل دونها حائل لم اذمم يومك ، ولم أياس من غدك .

[وَلاَ تَعُـدْ لِحَرْبِ من مَنَّ وَلَوْ   مَنَّ فَمَا غَـلَّ يَـداً كَمُطْلِـقِ

[وَالْعَوْدُ يُخْتَارُ عَلىٰمَنْ كَانَ كَالْـمُخْتَارِ أَوْ مَنْ كَانَ ذَا تَزَنْدُقِ]

من الاولى بمعنى أنعم ، والثانية بمعنى عدد عليه ما فعله به من الخير ، وهو المـن المحبـط للصنيعة . قال الله تعالـى ـ لا تبطلـوا صدقاتكم بالمن والاذى ـ وغل بمعنى قيد : أى لم يقيد اليد حقيقة ، مثل من أطلقها ، فالكاف اسم بمعنى مثل هو الفاعل، والبيت يشير الى قضية عمران بن حطان السدوسى من رءوس الخوارج مع الحجاج ، وكان حمل اليه فلما رآه قال: يا غلام اضرب عنق ابن الفاعلة فقال عمران بئس ما أدبـك به أهلك يـا حجاج، كيف أمنت أن أجيبك بمثل ما جبهتنى به أو افحش ، أبعد الموت منزلة أصانعك عليها ، فأطرق الحجاج استحياء مما فرط منه ، وقال خلوا عنه ، ثم قال أفيك موضع للصنيعة ؟ قال أجل فأمر له بفرس وسـرج وسيف وخلـى سبيله ، فلما عاد الى اصحابه من الخوارج ، قالوا له : والله يـا أبا سماك ما أطلقك إلا الله ، فعد بنا الى حرب الفاسق ، فقال هيهات ، غل يدا مطلقها ، واسترق رقبة معتقها ، فهذا معنى قوله : ولا تعد الخ ؛ ولكن هذا فيمن لم يكن مثل الحجاج فتركه من هوس الخوارج ، وإلا فليس هو أقـل استحقاقا للقتـال ممن ذكره فى قوله

والعود . أي للحرب يختار على من كان كالمختار ، وهو ابن أبي عبيد الثقفي ، أو من كان ذا تزندق : أي ملحدا في الدين ، وهو عام، وكان المختار قد خرج في أيام عبد الله ابن الزبير ، فتغلب على العراق واختلف أمره بين الخروج والطلب بدم آل البيت ، لكنه والحق يقال تتبع قتلة الحسين حتى أفناهم ، وكان البارقي الشاعر فيمن قاتل المختار من أهل الكوفة ، فحمل اليه فعفا عنه ثم خرج عليه مع ابن الاشعث فحمل اليه فقال له ألم أعف عنك وأمن عليك، أما والله لأقتلنك ، قال لا تفعل ان شاء الله لان أبي حدثني أنك تفتح دمشق وأنا معك . فخلاه فرجع الى ابن الاشعث ثم أسره رجل من أصحاب المختار ، فحمله اليه ، فقال : أسرك هذا ؟ فقال كذب والله ما أسرني الا رجل عليه ثياب بيض على فرس أبلق ، فقال : الا ان الرجل قد عاين الملائكة فدعوه ، فالى هذا يشير الناظم بقوله : والعود يختار الخ ، وفي قوله : من ولو من جناس تام، وفي قوله: يختار، والمختار جناس الاشتقاق :

[والصمتُ حصنٌ للفتىمن الردى وقلَّ منْ شَر لسَانـه وُقى]

[وإنْ وَجـدْتَ للْكَلام موْضعاً فكُنْ عراراً فيه أوْ كَالاشْدَق]

الصمت بالفتح والضم ، والافصح الفتح : السكوت ، والحصن : المكان المحمى المنيع ، والردى : الهلاك ، وقل ماض ، ضد كثر ، ومن فاعله ، وشر مفعول مقدم بوقى ، وعرار هو ابن سيدنا عمرو بن شاس الصحابي ، وكان أسود من أمة سوداء، ولكن بين الكلام فصيح المنطق ، وأرسله

الحجاج برأس ابن الاشعث الى عبد الملك بن مروان ومعه كتاب بالفتح فجعل عبد الملك يقرأ وكلما شك في شيء سأل عنه عرارا فيخبره في أصح لفظ ، وأبلغ قول ، فشفى نفسه من الخبر ، وعبد الملك لا يعرفه ، وقد اقتحمته عيناه لما رأى من سواده ، فقال متمثلا :

أرادت عرارا بالهوان ومن يرد لعمري عرارا بالهوان فقد ظلم
وإن عرارا إن يكن غير واضح فانى أحب الجون ذا المنكب العمم

فقال له عرار : أتعرفنى يا أمير المؤمنين ؟ قال لا . قال فأنا والله عرار ، فزاد في سروره وأضعف له الجائزة.

أما الاشدق فهو عمرو بن سعيد بن العاص كان من فصحاء قريش ، وأهل الخطابة فيهم ، ولما مات والده دخل على معاوية فقال له : لمن أوصى بك أبوك ؟ قال : انه أوصانى ولم يوص بى، قال : فبأى شيء أوصاك؟ قال ألا يفقد أصحابه منه غير شخصه ؟ فقال معاوية : ان عمرا هذا لاشدق ، فسمى بذلك :

[لا تنسها أوصى به البكرى أخا فهو سداد فبه الشر اتق]

السداد : الصواب ، والشر مفعول مقدم باتق . ومعنى اتق ادفع ، والبكرى المذكور هو موسى بن جابر الحنفى ، ونسب حنيفة في بكر بن وائل ، وكان عبد الملك كتب الى الحجاج يكفيك ما أوصى به البكرى أخاه زيدا ، فتحير الحجاج في أمره ، فصاح صائحه : من يعرف ما أوصى به البكرى أخاه قضيت حاجته. فقام اعرابى فقال أنا أعرفها ، فأنشده :

قلت لزيد لا تترتر فانهم يرون المنايا دون قتلك او قتلى
فان وضعوا حربا فضعها وإن أبوا فعرضة عض الحرب مثلك أو مثلى
وان رفعوا الحرب العوان التى ترى
فشب وقود الحرب بالحطب الجزل

[وَلَكَ فِيمَنْ كَانَ مِثْلَ الأَمَوِيِّ أُسْوَةٌ بِهِ اقْتَدَى كُلُّ تَقِى]
[هَذا هُوَ الْمَجْدُ الأَصِيلُ فَاتَّبِعْ سَبِيلَهُ عَلَى الْجَمِيعِ تَرْتَقِى]

الاسوة : القدوة ، واقتدى : اتبع . قال جل اسمه ـ فبهداهم اقتده ـ ويشير الى قصة الامين والمأمون لما اراد الرشيد أن يختبرهما مرة فأحضرهما وأغرى بينهما، فبادر الامين الى المأمون، فحلم المأمون عنه ثم امرهما أن يتصارعا، فوثب الامين وسكن المأمون ، فقال له الرشيد . ما لك لا تقدم أخفت ابن الهاشمية ؟ قال لم أخفه وانما منعنى قول الاموى لبنيه :

انفوا الضغائن بينكم وتواصلوا عند الاباعد والحضور الشهد
بصلاح ذات البين طول بقائكم ودماركم بتقاطع وتفرد
فلمثل ريب الدهر ألف بينكم بتعاطف وتراحم وتودد
حتى تلين جلودكم وقلوبكم لمسود منكم وغير مسود
إن القداح اذا اجتمعن فرامها بالكسر ذو حنق وبطش أيد
عزت فلم تكسر وان هى بددت فالوهن والتكسير للمتبدد

وهذا الشعر لعبد الملك بن مروان يوصى بنيه . ومراد الناظم الحض على التخلق بمضمونه ، قوله : هذا هو المجد، المجد هو ما يعتد به المرء من مفاخر آبائه. قال ابن السكيت: الحسب والكرم يكونان بدون الآباء ، والشرف والمجد لا

يكونان الا بالاَبـاء ، ومجـد أصيل ذو أصالة : أى عريق ، والاشارة الى ما تقدم من الاخـلاق والاَداب ، فلذلك قال : فاتبع سبيله .

[لاَ تَبْخَلَنْ بِـرَدٍّ مَا اسْتَعَرْتَهُ   كَضَابِىءٍ فَالْبُخْلُ شَرٌّ مُوبِقِ]
[شَحَّ بِـرَدِّ كَلْبِ صَيْدٍ وَهَجَا   أَرْبَابَـهُ ظُلْمـاً فَلَـمْ يُصَدَّقِ]
[وَمَاتَ فِى سِجْنِ ابْنِ عَفَّانَ كَمَا   قَضَى الْاِلَهُ مِيتَـةَ الْمُحَـزْرَقِ]
[وَنَجْلُـهُ مِـنْ أَجْلِـهِ أَجَلُـهُ   مِنْ سَطْوَةِ الْحَجَّاجِ لَمْ يَكُنْ وُقِى]

استعرته : أى أخذته على وجـه العارية ، والموبق : المهلك ، والمحزرق : المحبوس المضيق عليـه ، وهو من قول الاعشى فى النعمان بن المنذر ، وكـان كسرى حبسه بساباط المدائن حتى مات :

فذاك وما انجى من الموت ربه   بساباط حتى مات وهو محزرق

وضابـىء هـو ابـن الحرث البرجمى كان شاعرا ، واستعار من قوم من الانصار كلبا يصيد الظباء فحبسه عنهم فانتزعوه منه قهرا ، فهجاهم بقوله :

فكلبكم لا تتكلـوا فيـه أمكم   فان عقـوق الامهـات كبير
فيالك كلبا قد ضريت بحرفة   سميع بما تحت الازار بصير

فاستعدوا عليه سيدنا عثمان فعزره وحبسه ، وقال : ما رأيت أحدا رمى قوما بكلب قبلك ، فمـا زال فى السجن حتى مات، اما نجله فهو عمير بن ضابىء ، وكان استعرضه عثمان يوما فأخذ سكينا وجعلها فى أسفل نعله وأراد اغتياله فأعلم به عثمان فضربه ورده الى السجن . فقال فى ذلك :

هممت ولم افعل وكدت وليتني   تركت على عثمان تبكى حلائله

ثم انه لما ولى الحجاج على الكوفة واستنفر الناس للقتال تعرض له عمير بن ضابىء وهو شيخ فسأله من أنت ؟ فلما عرفه أمر بقتله وقال : أنت صاحب عثمان ، وهذا على ما عند الناظم وقيل : إن الذى تعرض للحجاج هو ضابىء نفسه .

[واسْتُرْ عَنِ الحُسَّادِ كُلَّ نِعمَةٍ   كَمْ فاضِلٍ بِكأسِ مَكرِهِمِ سُقِى]

[فصاعدٌ علـى مديـحِ وردَةٍ   أصبح مُنحطًا بِقَولِ سَهوقِ]

السهوق : الكذاب ، وصاعد هو ابن الحسين بن عيسى الربعى البغدادى اللغوى صاحب كتاب (الفصوص) كان من أعلام الادب ودخل الاندلس فى أيام هشام بن الحكم ولحق بحاجبه المنصور بن ابى عامر فعرف فضله وأكرمه وبالغ فى الاحتفاء به حتى حسده أدباء الاندلس فطعنوا عليه ورموه بالكذب وسرقة أشعار الناس ، ومن ذلك أنه حمل مرة الى المنصور طبق باكورة ورد لم يستتم فتحها، فقال فيها بديهة:

أتتك أبا عامر وردة   يذكرك المسك أنفاسها

كعذراء أبصرها مبصر   فغطت بأكمامها رأسها

فسر المنصور بذلك ، وكان فى المجلس ابو القاسم ابن العريف فزعم ان البيتين ليسا له ، وأنه أنشدهما بمصر على أنهما للعباس ابن الاحنف ، وقد علقهما على ظهر كتاب ومضى وأحضر الكتاب ، وكان ذلك اختلاقا منه ، فلما جاء بهما الى المنصور اشتد غيظه على صاعد ولكنه امتحنه بعد ذلك فى أشياء أخرى فظهر له صدقه فعاد الى بره وتقريبه :

[وَافْخَرَ كَفَخْرِخَالِدٍ بِالْعِيرِ وَالنَّـفِيـرِ لاَ بِحُلَّـةٍ مِـنْ سَـرَقِ]

العير بالكسر : الابل التى تحمل الميرة أو غيرها ، والنفير القوم النافرون الى الحرب أو غيرها ، من نفر القوم الى الشىء نفورا ، ونفيرا ، ونفرا ، أسرعوا اليه ، فهى تسمية بالمصدر وفى المثل : لا فى العير ولا فى النفير يقولونه للرجل الذى يصغر قدره عن كل شىء . وأصله أن أبا سفيان كان قد أقبل بعير من الشام وخاف تعرض المسلمين لها ، فأرسل الى قريش يستنفرهم ، فأقبلت اليه مع عتبة بن ربيعة ، فبعث اليهم انه قد احرز العير وأمرهم بالرجوع لانه قد ساحل بها وترك المدينة يسارا ، فأبت قريش الرجوع ورجع بنو زهرة منهم فلما رآهم ابو سفيان قالها . والحلة ثوبان يحل احدهما على الآخر، والسرق : الحرير ، وخالد المذكور ، هو ابن يزيد بن معاوية ، فاضل بنى أمية وعالمهم، وأول من اشتغل بعلوم الحكمة فى الاسلام، وترجمت له كتب الفلسفة، وكان عبد الملك كثيرا ما يغض منه لئلا تتشوف اليه الناس، ففاخر الوليد بن عبد الملك مرة ، وهو بحضرة أبيه ، فقال الوليد اسكت يا خالد ، فوالله ما تعد فى العير ولا فى النفير، فقال خالد ويحك فمن للعير والنفير غيرى : جدى أبو سفيان صاحب العير وجدى عتبة بن ربيعة صاحب النفير ، ولكن لو قلت : غنيمات وحبيلات والطائف ، ورحم الله عثمان قلنا صدقت . يشير الى ما كان من نفى النبى صلى الله عليه وسلم للحكم بن العاص . وهو جد عبد الملك الى الطائف فأقام هناك يرعى

غنما ويأوى الى حبلة وهى الكرمة : أعنى شجرة العنب حتى رده عثمان أيام خلافته الى المدينة :

[وَاتَّخِـذِ الصَّبْرَ دِلاصاً سَابِغاً   وَبِـمِـجَـنِّ عُمَـرٍ لا تَتَّقِـي]

الدلاص : الدرع الملساء اللينة البراقة، وهى مما ينعت به الواحد والجمع . والسابغ : الواسع الضافى ، من سبغ الثوب سبوغا اذا طـال الـى الارض وكان حقه أن يقول : سابغة ، والمجن الترس الذى يجن صاحبه : أى يقيه ، وعمر هو ابن ابى ربيعة الشاعر الغزل المعروف ، ومجنه هو الذى اشار له بقوله :

فكان مجني دون ما كنت أتقي   ثلاث شخوص كاعبان ومعصر

وذلك انه بات عند امرأة من بنى جمح كان يغزل بها فما زال يحتال حتى وصل اليها وهى فى طريق الحج، فلما طلع الفجر تنبه قومها فتعذر عليه الخروج فجعلته بين اختين لها وخرجن به حتى جاوز الرمال، فكن مجنه الذى اتقى به شر القوم، وهو من أضعف ما يكون فلذلك ضرب به المثل :

[وَإِنْ حَمَلْتَ رَايَةَ الأَمْرِ فَكُنْ   كَجَعْفَرٍ أَوْ دَعْ وَلاَ تَسْتَبِـقِ]

[قَدْ قُطِعَـتْ يَدَاهُ يَوْمَ مُوتَةٍ   وَلَـمْ يَدَعْهَـا لِكَمِيٍّ سَوْحَقٍ]

[لَكِنَّـهُ احْتَضَنَهَـا حُبّـاً لَهَا   فَيَـا لَـهُ مِـنْ سَيِّـدٍ مُوَفَّقٍ]

الراية : العلم الكبير ، والامر هنا . الولاية، والكمى : الشجاع المتكمى فى سلاحه : أى المتغطى المتستر بالدرع والبيضة ، والجمع الكماة ، والسوحق : الطويل، واحتضنها:

جعلها فى حضنه ، وهو ما دون الابط الـى الكشح، وجعفر المذكور: هـو ابن ابـى طالب اخو على رضى الله عنهما ، وكان من خبر قطع يديه انه لمـا جهز النبى صلى الله عليه وآلـه وسلم عسكـر موتة أمـر عليه زيد بن حارثة وقال : اميركم زيد ، فان قتـل فأميركم جعفر بن أبى طالب ، فان قتل فأميركم عبد الله بن رواحة الانصارى ، فان قتل فسيفتح الله على يد رجل من المسلميـن، وأشار بيده الى خالد بن الوليد ، فلما التقوا مع الروم وقتل زيد بن حارثة أخذ الراية جعفر فقاتل حتى قطعت يده اليمنى فأخذها بشماله فقاتـل حتى قطعت شمالـه ، ثم احتضـن الراية وقاتل حتى قتل ، ويحكى انه وجد فى جسمه يوم قتل أربع وخمسون ضربة بالسيف وكان قتله سنة ثمان من الهجرة، وأخبر النبى صلى الله عليه وسلم انه أعطى فى الجنة جناحان يطير بهما حيث شاء عوضا عن يديه المقطوعتين فى يوم موته ، فلذلك سمى بذى الجناحين ومما ينسب لعلى رضى الله عنه :

وجعفر الذى يمسى ويضحى   يطير مع الملائكة ابن امى

[وَكُنْ اذَا اسْتُنْجِدْتَ مِثْلَ مَنْ غَزَا   أَرْضَ الْعِدَا بِكُلِّ طِرْفٍ أَبْلَقِ]

استنجده فأنجده : أى استعان به فأعانه ، وغزا العدو، من باب عدا : اذا سار الى قتاله وانتهابه فى دياره ، والاسم: الغزاة ، والطـرف : الكريم مـن الخيل. وقال ابو زيد: هو نعت للذكور خاصة، والابلق : الـذى فيـه سواد وبياض : والانثى بلقاء ، والجمع بلـق : والذى غـزا ارض العدا بكل طرف أبلق : هو الخليفة المعتصم بالله بـن هارون الرشيد

ثامن خلفاء بني العباس وكان بلغه أن تيوفيـل ملك الروم خرج وأغار على بلاد الاسلام، وأن امرأة هاشمية وقعت في يد أحد بطارقته فلطمها فنادت وامعتصماه ، فقال ما يجيء اليك المعتصم الا على الابلق ، فيقال انه كانت في يده كأس يريد شربها فختمهـا ، وأقسم أن لا يشربها حتى يفك أسرها ، ونادى في عسكره أن يجتهدوا فـي ركـوب الخيل البلق ، فتوجه الى عمورية في زهـاء سبعيـن الف أبلق ، وكانت عمورية عند الروم اشرف من القسطنطينية ، ولم يتعرض لها احد منذ كان الاسلام ، فلم يـزل حتـى فتحها وتطلب تلك المرأة ، فقال لها : لبيك لبيك ، وأحضر الكأس المختومة وشربها حينئذ . ويحكى أنه لما خـرج أوقف مـا يملكه من من الضياع : ثلثا لولده ، وثلثا لله ، وثلثا لمواليه ، فهكذا تكون الهمم :

[وسُمْ عدوَّ الدِّينِ بِالخسفِ وكُنْ مثلَ أبي يوسفَ ذي التَّخبُّقِ]
[رَدَّ كتابَ مَنْ دعَاهُ للوَغى منهمْ ممزَّقاً لفَرْطِ الحَنَقِ]
[وقَالَ إنِّي لا أجيبُ بسوى جيشٍ عرمرمٍ وخيلٍ دُلُقِ]
[وضَرَبَ الفُسْطَاطَ في الحِينِ وقدْ أحاطَ جيشُه بهمْ كالشوذقِ]
[وكَانَ ما قدْ أبصرُوا منْ بأسهِ أبلغَ منْ جوابهِ المُشبْرقِ]

سامه خسفا : أي أولاه اياه وأراده عليه ، يتعدى الى المفعول الثاني بنفسه قال عز من قائل: « يسومونكم سوء العذاب » والناظم ضمنه معنى عامل ، فعداه بحرف الجر ،

والخسف : الذل، والتخبق : الرفعة والعلو، والوغى: الحرب، والحنق : الغيظ ، وقد حنق عليه من باب طرب ، والجيش العرمرم : الكثير ، والخيل الدلق : المتتابعة ، واحدها : دالق ودلوق ، وضربالف سطاط : أى نصبه ، وهو فى الاصل بيت من شعر ، والمراد به هنا : الخباء الملكى ، والشوذق : السوار ويقال فى المثل : أحاطوا بهم احاطة السوار بالمعصم، والباس : العذاب ، وهو أيضا : الشدة فى الحرب ، تقول : منه بؤس الرجل ، فهو بئيس كفعيل : أى شجاع. وقوله عز وجل : «بعذاب بئيس» : أى شديد ، وبئس الرجل بؤسا وبئيسا : اشدت حاجته فهو بائس . والناس تخلط بينهما ، والمشبرق : الممزق ، وأبو يوسف المذكور هو يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن ، ثالث ملوك الدولة الموحدية ، وأعظمهم قدرا ، وأجلهم ذكرا ، وقد كان أتاه كتاب من عند ملك أسبانيا يهدده بالحرب ويتوعده وكانت بينهما هدنة كان ملك اسبانيا نفسه هو الساعى فيها. فغضب أبو يوسف من تلاعبه وسلوكه المهين ، ومزق كتابه قطعا ثم وقع علي ظهر قطعة منه : الجواب ما ترى لا ما تسمع ، وأنشد متمثلا ببيت المتنبى :

فلا كتب الا المشرفية والقنا ولا رسل الا الخميس العرمرم

فلما بلغ ذلك الى ملك الاسبان وحاشيته داخلتهم الرهبة، وعلموا انهم ابتلوا بملك يفعل ولا يقول، ثم جهز أبو يوسف الجيوش وعبر الى الاندلس وأوقع بالاسبان وقعة عظيمة تعرف فى التاريخ بوقعة الاراك :

[يَاصَاحِ وَاشْغَلْ فُسْحَةَ الْعُمْرِ بِمَا   يَعْنِى وَزُرْ غِبًّا رُسُومَ الْعَيْهَقِ]

يا صاح منادى مرخم، أصله يا صاحبى، وفسحة العمر: سعته، بما يعنى: أى يهم، ومنه الحديث «من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه» : أى مَا لا يهمه . قوله وزرغبا : أى لماما والغب فى شرب الابل : أن ترد يوما وتدع يوما . وفى الحديث : «زر غبا تزدد حبا». ورسوم جمع رسم : وهو الاثر ،. والعيهق اللهو . يقول : اعمر فراغك بما يهمك من أمر معاشك ومعادك ودع التردد لاماكن اللهو ومواطن البطالة:

[وابْك علىٰ ذَنب وَقلْب قدْ قسَا   كَالصَّخر من هَواه لم يَستفق]

[بِمقْلَـة كَمقْلَـة الْخَنسَاء إذْ   بَكَتْ عَلَـى صَخْر بلا ترفُّق]

[أَوْ كَبُكـا فَارعَة عَلى الْوَلِيد   وَبكَـاء خنـدف وَخـرْنـق]

[أَوْ كُـنْ مُتَمِّـمًا بُـكا مُتَمِّمِ   عَلَى الذُّنوب وارجُ عفوَ معتق]

الذنب : الاثم واذنب: صار ذا ذنب ، وقسا القلب يقسو قساوة : صلب وهو مجاز عن عدم تأثره بالمواعظ ، وقوله كالصخر متعلق بقسا ، ومن هواه : أى من غيه ، متعلق بيستفق ومعنى لم يستفق، لم يستيقظ، وكل هذا مجاز : قوله بمقلة هو متعلق بقوله، وابك ، والمقلة : شحمة العين سوادها وبياضها، والخنساء : شاعرة مخضرمة مشهورة ، بل أشعر النساء ولا ريب وضرب المثل ببكائها على اخويها : صخر ومعاوية : وكانا لها مكرمين ، ولحرمتها حافظين ، ومن قولها فى صخر :

يذكرنى طلوع الشمس صخرا   وأبكيه لكل غروب شمس
ولولا كثرة الباكين حولى   على إخوانهم لقتلت نفسى
وما يبكون مثل أخى ولكن   أعزى النفس عنه بالتأسى

وكذا الفارعة وهى أخت الوليد بن طريف الشارى الخارجى ، وكان خروجه على الرشيد ثم قتل ، قتله يزيد ابن مزيد الشيبانى فرثته أخته المذكورة بمراث كانت تسلك فيها سبيل الخنساء ، ومن جيد قولها فيه :

أيا شجر الخابور ما لك مورقا   كأنك لم تجزع على ابن طريف
فتى لا يعد الزاد الا من التقى   ولا المال الا من قنى وسيوف
فقدناك فقدان الشباب وليتنا   فديناك من فتياننا بألوف
عليك سلام الله وقفا لاننى   أرى الموت وقاعا بكل شريف

الخابور : نهر بالجزيرة الفراتية ، وأما خندف فهى زوج إلياس بن مضر جده صلى الله عليه وسلم ، وكانت خرجت هائمة فى الارض لما مات زوجها وحرمت الرجال والطيب وبقيت كذلك حتى ماتت ، فضرب المثل بحدادها . وأما خرنق فهى أخت طرفة بن العبد لامه . وكانت شاعرة كالخنساء والفارعة ، وكان زوجها بشر بن عمرو الضبعى خرج مغيرا فى قومه فقتلوا فبكتهم ورثتهم ، ومما قالته فيهم :

لا يبعدن قومى الذين هم   سم العداة وآفة الجزر
النازلون بكل معترك   والطيبون معاقد الازر

قوله : أو كن متمما : أى مكملا ، والبكا يمد ويقصر ، فلذلك يستعمله تارة ممدودا وتارة مقصورا ، ومتمم هو ابن نويرة التميمى أخو مالك الذى يقال فيه : فتى ولا كمالك ، وبكاؤه كان على أخيه هذا ، وكان قتله خالد بن الوليد رضى الله عنه فى حروب الردة ، ومن بكاء متمم لاخيه قوله :

لقد لامني عند القبور على البكا رفيق لتذراف الدموع السوافك
فقال أتبكى كل قبر رأيته لقبر ثوى بين اللوى فالدكادك
فقلت له ان الاسى يبعث الاسى فدعني فهذا كله قبر مالك

وقوله وارج عفو : أي مغفرة معتق ، وهو الواحد القهار ، معتق الرقاب من النار :

[وكُنْ خَميصَ البَطْنِ مِنْ زَادِ الرِّبا وخَمْرةَ التقوى اصطبِحْ واغْتبِقْ]

خمص خمصا بوزن قرب قربا ، وخمصة بالفتح فهو خميص اذا جاع. وزاد الربا كناية عن الطعام الحرام ، وخمرة التقوى استعارة ، والاصطباح : الشرب بالغداة ، وهو ضد الاغتباق وهو يريد بذلك ملازمتها واتخاذها شعارا .

[وحصِّلِ العِلْمَ وزَنِّهُ بالتُّقى وسَائِرَ الأوْقاتِ فيه اسْتَغرِقِ]

[ولْيَكُ قَلْبُكَ لَهُ أفرغَ مِن حجّامِ ساباطَ ومَنْ لَمْ يَعشَقِ]

[ولا تكنْ مِنْ قومِ موسى واصطبر لِكَدِّه ولِلْمَلالِ طَلِّقِ]

حصل العلم : أي أطلبه وأحرزه ، وزنه بالتقى : أى جمله وحسنه ، والتقى كالتقوى وقوله وسائر الاوقات هو معمول لاستغرق مقدم عليه ، ومعنى استغرق اصرف. قوله أفرغ أى غير متعلق بشىء الا به، وساباط محله بالمدائن وكان بها حجام يحجم الجند نسيئة من قلة شغله ، وكان يمر عليه الاسبوع ولا يدنو منه احد فيخرج أمه فيحجمها ليرى الناس أنه غير فارغ ، فما زال بها حتى نزف الدم منها فماتت وضرب المثل بفراغه ؛ وكذا يضرب المثل بفراغ قلب من لم

يعشق : أى يحب ؛ فما عرف شغل القلب حقيقة الا من كان قلبه معلقا بهوى ولذلك قيل :

لا يعرف الشوق الا من يكابده ولا الصبابة الا من يعانيها

قوله : ولا تكن من قوم موسى : أى لا تكن ملولا مثل قوم موسى صلى الله عليه وسلم ، وهم بنو اسرائيل اعطوا المن والسلوى فملوهما ، وقالوا : «لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض» الآية. ولكده : أى لتعبه ، وطلق : أى فارق ، واللام فى للملال للتقوية :

[وَخُصَّ عِلْمَ الْفِقْهِ بِالدَّرْسِ وَكُنْ كَاللَّيْثِ أَوْ كَأَشْهَبَ وَالْعُتَقِى]

الفقه : الفهم ، وقد فقه الرجل بالكسر فقها وأفقهته الشىء هذا أصله ، ثم خص بعلم الشريعة ، والعالم به فقيه ، وقد فقه : صار فقيها ، والليث هو ابن سعد أحد الائمة المجتهدين وأشهب والعتقى وهو ابن القاسم كلاهما من كبار أصحاب مالك .

وَفِى الْحَدِيثِ النَّبَوِى آنْ لَمْ تَكُنْ مِثْلَ الْبُخَارِىِّ فَكُنْ كَالْبَيهَقِى

الحديث : هو علم السنة النبوية ، ويقال للعالم به محدث ، والبخارى هو امام المحدثين غير منازع، وصاحب الجامع الصحيح الذى رجحه الناس على جميع كتب الحديث والبيهقى هو صاحب السنن أحد كتب الحديث المشهورة ومراد الناظم فى البيتين الحث على تعلم الفقه والحديث ، فانهما مورد الشريعة المعين ، وكنزها الغالى الثمين :

[فَالْعِلْمُ فِى الدُّنْيَا وَفِى الاخرى لَهُ فَضْلٌ فَبَشِّرْ حِزْبَهُ شَرًا وَقِى]

فضل العلم فى الدنيا والاخرة مما لا ينكره احد ، وقد قال تعالى : «يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات» وفى الحديث: (ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة) وقوله فبشر حزبه. أى أهله وأصحابه ، وحذف متعلق بشر لقصد التعميم وجملة شرا وقى : خبر معناه الانشاء اذا أريد به الدعاء ، أو خبر حقيقى اذا أريد به الوصف

[وَاعْنَ بِقَوْلِ الشِّعْرِ فَالشِّعْرُكَمَا لٌ لِلْفَتَى إنْ بِهِ لَمْ يَرْتَزِقِ]

[وَالشِّعْرُ لِلْمَجْدِ نِجَادُ سَيْفِهِ وَلِلْعُلَا كَالْعِقْدِ فَوْقَ الْعُنُقِ]

اعن أمر من عنيت بالامر : اذا اهتممت به ، والاكثر عنى بالبناء للمفعول، وبقول الشعر : أى بنظمه وقرضه ، فالشعر كمال للفتى : أى زيادة فضل له ان به لم يرتزق : أى يطلب الرزق به بقصد الكبراء وذوى الجاه به ، وكذلك كان الشعراء فى أول الامر يأنفون بشعرهم أن يبتذل هذا الابتذال ، فكانوا عزة أشرافا ، ثم ظهر المتكسبون بالشعر كالاعشى والنابغة ، فغض ذلك من شأن الشعراء ، ولصقت بهم معرته. قوله نجاد سيفه : أى حمائله ، والعقد : القلادة من جوهر وغيره مما يجعل فى العنق وهذا من قول المعرى

أرى المجد سيفا والقريض نجاده ولولا نجاد السيف لم يتقلد

كما ان البيت الاول من قول ابن الوردى :

إنظم الشعر ولازم مذهبى فى إطراح الرفد فالدنيا أقل

فهو عنوان على الفضل وما أحسن الشعر اذا لم يبتذل

[فَقُلْهُ غَيْرَ مُكْثِرٍ مِنْهُ وَلَا تَعْبأْ بِقَوْلِ جَاهِلٍ أَوْ أَحْمَقِ]

[مَا عَابَهُ إلاَّ عَيِيٌّ مُفحَمٌ لِعَرْفِهِ الذَّكِيِّ لَمْ يَسْتَنْشِقِ]

انما قال غير مكثر منه ، لان الافراط فى كل شيء مذموم ، وفى الشعر بالخصوص ، فانه ربما أدى الى تقبيح الحسن وتحسين القبيح ، والوقوع فى أعراض الناس ، وهذا هو المراد بحديث «لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحا يريه خير له من أن يمتلىء شعرا». وقوله: ولا تعبأ بقول جاهل : أى لا تبل به. قوله ما عابه الا عيى، العيى : غير الفصيح ، وفعله عيى يعيى كرضى يرضى ، ويقال فيه ايضا عى فهو عى ، والمفحم بالفاء : الذى يعجز عن قول الشعر، والذى يغلب فى الخصومة ولعرفه متعلق بيستنشق ، والعرف . الرائحة. والذكى : الطيب ولم يستنشق : أى لم يشم ، والمراد انه لا يعيبه مطلقا إلا من يعجز عنه على حد ذم الثعلب للعنب اذا لم يقدر ان يصل اليه

[كَمْ حَاجَةٍ يَسَّرَهَا وَكَمْ قَضَى بِفَكِّ عَانٍ وَأَسِيرٍ مُوثَقِ]

[وَكَمْ أَدِيبٍ عَادَ كَالنُّطْفِ غِنًى وَكَانَ أَفْقَرَ مِنَ الْمُذَلَّقِ]

كم للتكثير ، وقضى : حكم ، بفك عان : أى أسير ، تقول منه : عنا فلان فيهم أسيرا من باب سما : أى أقام على إساره وعنا ايضا : خضع وذل ، ومنه ـ وعنت الوجوه للحى القيوم ـ والاسير : الاخيذ وان لم يشد والموثق المشدود ، من أوثقه فى الوثاق : شده . قال تعالى: « فشدوا الوثاق» قوله وكم أديب عاد كالنطف : أى بسبب قول الشعر ،

والنطف بوزن كتف وسكنه للضرورة : رجل من بنى يربوع كان سقاء فقيرا ، ثم اغار فى فومه على قافلة أرسلها باذان من اليمن الى كسرى فأصاب مالا كثيرا ، فضرب به المثل فى الغنى والمذلق بوزن معظم : رجل فقير جدا لم يكن يجد قوت ليلة وأبوه وأجداده يعرفون بالافلاس ، فيقال أفلس من المذلق ومن ابى المذلق :

[وَكَمْ حَدِيثٍ جَاءَنَا بِفَضْلِه   عَنْ سَيِّدٍ عن الهَوى لَمْ ينطق]
[وَقَدْ تَمَثَّلَ بِهِ وكَانَ مِنْ   أَصْحَابِه يسمعُه فى الحلَقِ]
[وقَدْ بَنَى الْمِنبرَ لابْنِ ثَابِتٍ   فَكَانَ للانْشَاد فيه يرتقى]

من الاحاديث التى جاءت فى مدح الشعر قوله صلى الله عليه وسلم: (ان من الشعر لحكمة). رواه البخارى . وعن ابن عباس رضى الله عنهما جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فجعل يتكلم بكلام فقال النبى صللى الله عليه وسلم (ان من البيان سحرا، وإن من الشعر حكما) رواه أبو داود ومن تمثله صلى الله عليه وسلم بالشعر قوله كما فى الصحيح أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد :

* ألا كل شيء ما خلا الله باطل *

وأما سماعه صلى الله عليه وسلم له من اصحابه فكثير، فعن عمرو بن الشريد عن أبيه ردفته صلى الله عليه وسلم ، فقال : هل معك من شعر أمية بن أبى الصلت شيء ؟ قلت نعم ، قال هيه، فأنشدته بيتا ، فقال هيه ، ثم أنشدته بيتا ، فقال هيه ، ثم أنشدته مائة بيت ، فقال : إن كاد ليسلم»

وأنشده عباس بن مرداس أبياتا فأعطاه مائة من الابل كما فى مسلم وناهيك بقوله لحسان «اللهم أيده بروح القدس كما فى الصحيح أيضا . وقد وضع له منبرا فى المسجد فكان يقوم عليه منافحا عن رسول الله بشعره مجيبا لشعراء الوفود كما هو معروف. قوله عن الهوى لم ينطق : هو اقتباس من الآية ، والمراد هوى النفس ، والحلق جمع حلقة : وهى دائرة من القوم المجتمعين للمذاكرة والسمر وابن ثابت : هو حسان شاعر النبى صلى الله عليه وسلم

[وَقَالَ لابْنِ أَهْتَمٍ فِي مَدْحِهِ   وَذَمِّهِ للزِّبْرِقَانِ الأَسْمَقِ]

[مَقَالَةً خَتَمَهَا بِقَوْلِهِ   إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ لَحِكْمَةً تَقِي]

ضمير قال للنبى صلى الله عليه وسلم ، وابن أهتم هو: عمرو بن الاهتم احد سادات بنى تميم فى الجاهلية والاسلام وفى مدحه وذمه يتنازعان قوله للزبرقان ، وضميرهما عائد لابن أهتم ، والزبرقان هو ابن بدر التميمى أيضا وكان سيدا من ساداتهم ، والاسمق : الاعلى ، من سمق سموقا : إذا علا والمراد هنا : العلو المعنوى ، ويشير بهذا الى ما رواه غير واحد من أن الزبرقان فخر بحضرة النبى صلى الله عليه وسلم فقال : أنا سيد بنى تميم والمطاع فيهم ، والمحبب لديهم ، أمنعهم من الظلم ، وآخذ لهم حقوقهم ، وهذا يعلم ، يعنى عمرو بن الاهتم فقال عمرو : إنه لشديد العارضة ، مانع لجانبه ، مطاع فى أدنيه فقال الزبرقان : أما إنه يعلم اكثر من هذا ، ولكن منعه الحسد فقال عمرو : أنا أحسدك ، فوالله : إنك للئيم الخال ، حديث المال ، أحمق الولد ،

مضيع فى العشيرة ، والله يا رسول الله لقد صدقت فى الاولى ، وما كذبت فى الثانية : انى اذا رضيت قلت أحسن ما علمت ، واذا غضبت قلت أقبح ما وجدت ، فقال صلى الله عليه وسلم (ان من البيان لسحرا) وأنت ترى أن الخبر فيه (ان من البيان لسحرا ، لا ان من الشعر لحكمة) ومفاخرة الرجلين كانت نثرا ، فالمجال كله ليس للشعر ، فقد اشتبهت القصة على الناظم ، والا ففى غيرها قال (ان من الشعر لحكمة) :

[وعنـد ما سَمِعَ مـن قُتَيلـة   رثى قتيلها الذى لَمْ يُعتـق]
[ردَّ لهـا سلبـه وقـدْ بكى   شفقـة بـدمعـه المُنطلـق]

قتيلة هذه : هى بنت النضر بن الحرث أو أخته ، وكان من كفار قريش ، شديد العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والاذاية له ولاصحابه ، فلما كانت غزوة بدر أسر ، فأمر صلى الله عليه وسلم بقتله فقتل ، فبلغ ذلك قتيلة ، فرثته بأبيات منها :

أمحمد يـا خير ضنء كريمة   فى قومها والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لو مننت وربما   من الفتى وهو المغيظ المحنق

فلما سمعها النبى صلى الله عليه وسلم رق لها حتى دمعت عيناه وقال : لو كنت سمعت شعرها قبل أن أقتله لعفوت عنه ، والرثى مصدر رثى الميت من باب رمى ، ومرثية ورثاء : اذا بكاه ، وعدد محاسنه شعرا او نثرا ، والسلب ما على المقاتل من سلاح وغيره مما يسلب :

[وَقَدْ حَبَا كَعْباً غَـدَاةَ مَدْحِه   بِبُـرْدَةٍ وَمِائَةٍ مِـنْ أَيْنُـقِ]

حباه يحبوه حبوة : أعطاه ، والحباء العطاء ، وكعب هو ابن زهير : أحد شعرائه صلى الله عليه وسلم ، وغداة ظرف لحبا ؛ ومدح كعب للنبى صلى الله عليه وسلم ؛ ورضى عن كعب : كان بقصيدته (بانت سعاد) المشهورة. وقد اجازه عليها كما قال الناظم ببردته ومائة من الابل وعفا عنه بعد ما كان أهدر دمه ؛ وقد بقيت الـبردة عنـده ، وساومه عليها معاويـة بعشرة آلاف درهُـم فأبـى ، ثم اشتراها من ورثته بعشرين وبقيت عند الخلفاء الى أن فقدت فى فتنة التتار :

[وَبَشَّرَ الْجَعْـدِيَّ وَابْنَ ثَابِتٍ   بِجَنَّـةٍ جَـزَاءَ شِعْـرٍ عُنُسِقِ]

يشير الى قـول النبـى صلى الله عليه وسلم للنابغة الجعدى لمـا انشده قصيدتـه الرائية التى مدحه بها ؛ فبلغ هذا البيت :

بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا   وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

الى أين يا أبا ليلى ؟ فقال الى الجنة يا رسول الله ، فقال نعم ان شاء الله ، والى قوله لحسان بن ثابت لما أنشده همزيته التـى أجـاب فيها أبا سفيان بن الحرث ، فبلغ هذا البيت

هجوت محمـدا وأجبت عنه   وعند الله فـى ذلـك الجزاء

«جزاؤك الجنة يا حسان» وعنسق فـى النظم كقنفد ، معناه : حسن

[كَمْ خَامِلٍ سَمَا بِهِ الَى الْعُلاَ   بَيْتُ مَدِيحٍ مِـنْ بَلِيـغٍ ذَلِقِ]

[مِثْلُ بَنِى الأنْفِ ومِثْلُ هَرِمٍ   وكَالَّـذِى يُعْـرَفُ بِالْمُحَلِّقِ]

الخامل : ضد النابه ، وقد خمل من باب دخل ، وسما مثل علا وزنا ومعنى ، والعلا : الرفعة والشرف . والذلق : الفصيح ويقال الذليق ايضـا باليـاء ، وبنو الأنف هم بنو جعفر بن قريع من بنى تميـم كانوا يدعون بنى أنف الناقة فيانفون من ذلك وكان الرجل منهم ينتسب الى جده قريع ، ويتجاوز النسبة الى جعفر فرارا من ذلك اللقب ، الى ان مدحهم الحطيئة بقوله :

قوم هو الانف والاذناب غيرهم   ومن يسوى بألف الناقة الذنبا

فصار اللقب فخرا لهم ، وصاروا اذا ذكروه يمدونه تطاولا به . أما هرم فهو ابـن سنان المرى أحد ساداتهم ، وكان اخوه خارجة اسود منه لكنه بمدح زهير له غطى على أخيه وكان جوادا أريحيا ، وكثر مدح زهير له فحلف انه لا يمدحه ولا يسألـه ولا يسلم عليـه الا اعطـاه عبدا أو وليدة أو فرسا فاستحيا زهير ، فكان اذا رآه فى مـلأ قال عموا صباحا غير هرم ، وخيركم استثنيت ، ومما قاله فيه :

قد جعل المبتغون الخير فى هرم   والسائلون الى ابوابه طرقا
ان تلق يوما على علاته هرما   تلق السماحة منه والندى خلقا

وأما المحلق . فهو رجـل من بنـى كلاب «وكان مقلا خاملا وله بنات قـد عنسن ، فمـر بهم الاعشى ذاهبا الى عكاظ ، فتعرض له المحلق وأنزله ، ونحر له ناقته ، وسقاه خمرا اقترضها من احـد التجار ثم غـدا على عكاظ فأنشد قصيدة مدح بها المحلق ، وفيها :

لعمرى لقد لاحت عيون كثيرة   الى ضوء نار فى يفاع تحرق

تشب لمقرورين يصطليانهـا وبات على النار الندى والمحلق

فاشتهر المحلـق وشرف ، وبـادر الاشراف يخطبون بناته ويرغبون فى قربه فما مرت عليهن سنة حتى كانت كل واحدة فى عصمة رجل أشرف من أبيها بكثير :

[وكَمْ وكَمْ حَطَّ الْهِجَا منْ ماجدٍ ذى رُتبَة قَعسا وَقَدْر سَمِقِ]

[مثْل الرَّبيعِ وبنِيالْعجلان معْ بنِي نُميْـرٍ جمَراتِ الْحَرَقِ]

كم الثانية توكيد للاولى ، وحط . أي وضع، والهجاء : ضد المدح وقصره ضرورة ، ومن ماجد تمييزكم . وقعساء : ثابتة. وقصره ضرورة ؛ وسمق : عال ؛ والربيع : هو ابن زياد العبسى ؛ نديم النعمان بن المنذر . وكان منه بمكانة. فوفد على النعمان عامر بن مالـك ملاعب الاسنة وإخوته . فعض الربيع منهم . وطعن للنعمان فيهم . فخرجوا من عنده مغضبيـن . وكـان لبيـد صبيا صغيرا يؤمئذ وهو معهم . فرآهم على تلك الحال. فسألهم فأخبروه فقال : أنا أكفيكموه فغدوا على النعمان فأذن لهم فدخلوا . فأنشده والربيع معه على المائدة :

مهلا أبيت اللعن لا تأكل معه ان استه مـن برص ملمعـه

فى أبيات مقذعة ، فأنف النعمان من مواكلته وأقصاه عن مجلسه . وبنو العجلان : هم من بني عامر بن صعصعة، ولقب أبوهم بالعجلان لتعجيله القـرى للضيوف فهو لقب مدح ، ثم لما هجاهم النجاشى الشاعر بقوله :

ومـا سمـى العجـلان الا لـقـولهـم
خذ القعب واحلب ايهـا العبد واعجل

صار ذما ، وانقلب معناه . وأما بنو نمير فهم من بنى عامر بن صعصعة أيضا وهم احدى جمرات العرب الذين لم يحالفوا أحدا لعزتهم ومنعتهم ، وكان الرجل منهم اذا سئل عن نسبه قال نميرى وفخمها ، وأمال عنقه فخرا حتى هجاهم جرير بقوله :

فغض الطرف انك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا

فصاروا ينتسبون الى عامر الجد الاعلى ، وقوله جمرات الحرق انما يرجع لبنى نمير ، وأضافها للحرق للمناسبة . وجمرات العرب ثلاث : بنو نمير ، وبنو ضبة ، وبنو الحرث بن كعب :

[لَوْ لَمْ يَكُنْ لِلشِّعْرِ عِنْدَ مَنْ مَضَى فَضْلٌ عَلَى الْكَعْبَةِ لَمْ يُعَلَّقِ]

يشير الى القصائد السبع المعروفة بالمعلقات ، وما قيل فى سبب تسميتها بذلك من انها كانت مكتوبة فى القباطى بماء الذهب ، ومعلقة على الكعبة ، وذلك لنفاستها عندهم :

[لَوْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ بَيَانُ آيَةٍ مَا فُسِّرَتْ مَسَائِلُ ابْنِ الْأَزْرَقِ]

ابن الازرق : هو نافع الحنفى ، رئيس فرقة الخوارج المعروفة بالازارقة ، ومسائله هى كلمات من القرآن ، سأل ابن عباس عن معناها ففسرها له جميعا ، وكان فى كل كلمة يسأله هل تعرف العرب هذا؟ فينشد على ذلك بيتا من الشعر وقد ذكرها المبرد وغيره فلا نطول بها :

[مَا هُوَ إِلَّا كَالْكِتَابَةِ وَمَا فَضْلُهُمَا إِلَّا كَشَمْسِ الْأُفُقِ]

[وإنَّمَا نُزِّهَ عنهما النَّبي   ليُدْرِكَ الأعْجَازُ بالتَّحقُّقِ]

يعنى ان الشعر هو كالكتابة فى الفضل ، وفضلهما لا يخفى كما لا تخفى شمس الافق : أى السماء ، وانما نزه عنهما النبى صلى الله عليه وسلم أى عن الشعر فى قوله تعالى ــ وما علمناه الشعر وما ينبغى له ــ وعن الكتابة فى قوله عز وجل ــ وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ــ ليدرك الاعجاز بالتحقق: اى ليدرك كل انسان على وجه التحقيق المعجزة فى إتيانه صلى الله عليه وسلم بذلك الكتاب الكريم الذى هو فى أعلى درجات البلاغة مع كونه أميا لا يشعر ولا يكتب. وقد أشارت الآية الثانية الى علة ذلك فى آخرها . وهو قوله عز من قائل : ــ إذاً لارتاب المبطلون ــ

[فَهِمْ بِهِ فَإنَّهُ لا شَكَّ عُنْوَانُ الحِجَا والفَضْلِ والتَّحَذْلُقِ]

[وَهُوَ إكْسِيرٌ وتَدْبِيرٌ لِمَنْ   رَامَ اصْطِيَادَ وَرِقٍ بِوَرَقِ]

[مِنْ غَيْرِ تَقْطِيرٍ وتَصْعِيدٍ وتَكْلِيسٍ وتَرْطِيبٍ وقَتْلِ زِئْبقِ]

هم أمر ، من هام بالشىء يهيم هياما وهيمانا : أحبه ، والحجا : العقل ، والتحذلق : اظهار الحذق ، والاكسير : حجر الحكماء الذى يحول الفضة ونحوها ذهبا خالصا، والتدبير عند أهل هذه الصناعة : عملية التحويل المذكور ، فالناظم يقول : ان الشعر يوصل الى سر هذه الصناعة ، فهو يقوم مقامها لمن رام : أى قصد ، اصطياد : أى أخذ ورق بكسر الراء أى فضة ، بورق : أى بقرطاس ، ولم يقصد الى التجنيس بين الورق والورق عبثا بل لتتمة التشبيه . قوله

من غير تقطير الخ : هذه الالفاظ مما يستعمله أرباب الصناعة وكل واحد منها يطلق على عمل مخصوص لا يتم تحضير المعدن الكريم الا به والزئبق معلوم ، والمراد بقتله : صهره بالنار حتى يجمد ، ولا يجمد الا فى درجة عالية من الحرارة :

[وَإِنْ تَكُـنْ مِنْـهُ عَقيم فِكْرَةٍ   فَاعْنَ بِجَمْـعِ شَمْله الْمُفْتَرِقِ]

[وَكُنْ لَـهُ رَاوِيَـةً كَالاُصْمَعى   وَالْجَهلُ أَوْلَى بِالَّذى لَمْ يصْدُقِ]

العقيم : الذى لا يولد له ، وعقم الفكرة مجاز عن عدم انتاجها ، وهذا كالاستثناء مما قبله ، فان الانسان اذا لم تفض سجيته بقول الشعر لا ينبغى له معاناته، فان اثر التكلف لا بد ظاهر عليه ، ومعنى قوله : فاعن بجمع شمله اروه واحفظه فالمراد انك لا تخلي نفسك منه ان قولا او رواية ولذلك قال: وكن له راوية : والراوية عند العرب : الذى يتبع الشاعر فيروى عنه ما يقوله من الشعر ، وكان لكل شاعر راوية ، والاصمعى هو ابو سعيد عبد الملك بن قريب ، أحد اعلام الرواة والاخباريين الثقات ، وشهرته تغنى عن ذكره، والناظم يرشد من تعذر عليه قول الشعر ، وكان قلبه معلقا بما يناله الشعراء من الحظوة عند الامراء الى طريق الرواية فانها اخت الشعر ، وقديما قالوا : الراوية احد الهاجيين لكنه لا يرضى للراوية ان يكون غير ثقة، فلذلك ذكر الاصمعى وترك غيره من الرواة ، وزاد فقال : والجهل أولى بالذى لم يصدق . وقد كان الاصمعى رحمه الله على جانب عظيم من التثبت والتحرى فى كل ما يقول وينقل ، ولذلك حظى عند الخلفاء ونال من صلاتهم ما لم ينله غيره :

[وَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ شَاعِراً   فَحْلاً فَكُنْ مِثْلَ أَبِي الشَّمَقْمَقِ]

[مَا خِلْتُ فِي الْعَصْرِ لَهُ مِنْ مَثَلٍ   غَيرَ أَبِي فِي مَغْرِبٍ وَمَشْرِقِ]

[لِذَاكَ كَنَّاهُ بِهِ سَيِّدُنَا   السُلْطَانُ عِزُّالدِّينِ تَاجُالْمَفْرِقِ]

الشاعر الفحل : المفضل عموما ، والغالب بالهجاء من هاجاه وابو الشمقمق شاعر كوفي أديب ظريف من موالي مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية وكان هجاء كثير الهزل في شعره ومن ظريف شعره قوله يهجو سعيد بن سلم :

هيهات تضرب في حديد بارد   ان كنت تطمع في نوال سعيد

والله لو ملك البحور بأسرها   وأتاه سلم في زمان مدود

يبغيه منها غرفة لطهوره   لأبى وقال تيممن بصعيد

قوله ما خلت : أي ما ظننت ، والمثل : الشبيه والنظير لغة في المثل ، وكناه به أي أطلق عليه كنيته ، وعز الدين : أي معزه ، وتاج المفرق : أي هو كتاج المفرق في الرفعة والجلال والمفرق : موضع افتراق شعر الرأس وهو محل التاج ، وكان والد الناظم أديبا ألمعيا ، صاحب نكات وملح ، واتخذه السلطان سيدي محمد بن عبد الله بن اسماعيل نديما، وقربه وأحبه وكناه بأبي الشمقمق فاشتهر بها هو وولده :

[مُحَمَّدٌ سِبْطُ النَّبِيِّ خَيرُ مَنْ   سَادَ بِحُسْنِ خَلْقِهِ وَالْخُلُقِ]

[أَعْنِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ابْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ابْنَ الأَمِيرِ الْمُتَّقِي]

السبط : ولد الولد مطلقا ، ويغلب على ولد البنت ، فيكون مقابل الحفيد الذي هو ولد الابن خاصة ، وساد :

صار سيدا والخلق بالفتح : المراد به الصفات الجسمية ، والخلق بالضم الصفات النفسية ، وفى قوله أعنى أمير المؤمنين البيت نوع من البديع : وهو الاطراد ، نظيره قوله صلى الله عليه وسلم : «الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم» .

[خَيرُ ملوكِ الغَرْبِ مِنْ أُسْرَتِه   وغَيرِهِم عَلَى العُمومِ المطلَق]

[ودَوحَةُ المَجْدِ الَتِى أغْصَانُهَا   بِهَا الارامِلُ ذَوو تَعَلّق]

[لَهُ مُحيًّا ضَاءَ فِى أَوجِ الدُّجَا   سَنَاهُ مِثْلُ القَمَرِ المُتَّسِق]

[وَرَاحَةٌ تَغَارُ مِنْ سُيُولِهَا   سُيُولُ وَدْقٍ وَرُكَامٍ مُطْبِق]

الغرب : المراد به المغرب الاقصى ، ومن أسرته : أى من رهطه ، واشتقاق الاسرة من الاسر. وهو الشدة ، لانها تشد ظهر الرجل : أى يتقوى بها. قوله ودوحة المجد : أى أصله ، والدوحة الشجرة العظيمة ، وجمعها دوح. والارامل: المساكين واحده : أرمل ، وهو أيضا من ماتت زوجته ، والانثى أرملة ، وذوو تعلق : أى تمسك . قوله له محيا ، المحيا . الوجه من التحية لانه يقصد بها ، والاوج : الارتفاع، والدجا : الظلمة ، وسناه أى ضوءه ، والمتسق : المنتظم والمراد : الكامل . قوله وراحة معطوف على محيا ، والراحة : بطن الكف ، جمعها راح ، وتغار من سيولها : أى تنفس عليها والسيول جمع سيل : وهو الماء السائل بكثرة ، والمراد بها هنا : العطايا ، والودق : المطر ، والركام : السحاب المتراكم بعضه على بعض، والمطبق : المغطى الساتر لوجه الارض :

[فَاقَ الرَّشِيدَ وَابْنَهُ بِحِلْمِه وَعِلْمِهِ وَرَأْيِهِ الْمُوَفَّقِ]

فاق : أى علا ، وبابه قال ، والرشيد مفعول بفاق ، والمراد بابنه : المأمون والضمير فى حلمه وعلمه ورأيه : راجع الى الممدوح ، وحلم المأمون مما لا غاية فوقه ، والعلم والرأى مما اشترك فيه الرشيد والمأمون :

[وَسَادَ كَعْبًا وَابْنَ سُعْدَى وَابْنَ جُدْ

عَانَ وَحَاتِمًا بِبَذْلِ الْوَرِقِ]

سادهم : أى صار سيدا عليهم ، ببذل الورق : أى اعطائها والورق : الدراهم المضروبة ، والمراد أنه فاقهم فى الجود ، وكعب هو ابن مامة الايادى : وابن سعدى هو أوس ابن حارثة بن لام الطائى ، وسعدى أمه . وابن جدعان هو عبد الله بن جدعان القرشى ابن عم ابى بكر الصديق . وحاتم : هو الطائى ، وكل هؤلاء من الاجواد المضروب بهم المثل ، وأخبارهم مفرقة فى الكتب :

[وَلَمْ يَدَعْ مَعْنًى لِمَعْنٍ فِى النَّدَى وَلَمْ يَكُنْ كَمِثْلِهِ فِى الْخُلُقِ]

لم يدع : أى لم يترك ، معنى لمعن : أى ذكراً له ، فى الندى أى الجود ومعن هو ابن زائدة الشيبانى ، الجواد المشهور ، والشجاع المذكور ، كان من رجالات الدولتين : الاموية والعباسية ، ممدحا ، مرجوا ، وفيه قيل : حدث عن معن ولا حرج ، ولم يكن فى خلقه ما يعاب ، فكان جوادا وشجاعا وحليما ، وحسبك بقصته مع الاعرابى الذى تندر عليه بقوله :

أتذكر اذ لحافك جلد شاة   واذ نعلاك من جلد البعير

فقال : أذكره ولا أنساه ، فقال الاعرابى :

فجد لى يا ابن ناقصة بمال   فانى قد عزمت على المسير

فأمر له بالف دينار ، فعجب الاعرابى ، وكان قد أتى مختبرا لحلمه ، ثم مدحه وانصرف من عنده بجوائز سنية ، فقول الناظم : ولم يكن كمثله فى الخلق من الاطراء المعيب الا ان يقصد به جفاء البادية فى أول نشأته :

[مُذْ كَانَ طفلاً والسَّمَاحُ دَأْبُهُ   وغير مَأْخَذ الثَّنَا لَمْ يَعْشَق]

[نَشَأَ فى حجْرِ الْخلاَفَة وَمُذْ   شَبَّ فَتَى بِغَيْرِهَا لَمْ يعلقِ]

[فَبَايَعَتْهُ النَّاسُ طُرًّا دَفْعَةً   لَمْ يَكُ فيها أَحَدٌ بِالأَسبقِ]

[وأعْطيتَ قوسَ العُلامِنْقدبرى   أعْوادَهَا رعَايَةً للأَلْيَقِ]

مذ كان طفلا : أى من ابتداء طفولته ، والسماح : أى الجود ، دابه . أى عادته ، وغير ماخذ الثناء : أى سببه وسبيله . والثناء الحمد وهو ممدود ، وقصره ضرورة ، لم يعشق. أى لم يحب ولم يسلك . قوله نشأ . أى تربى فى حجر الخلافة بالفتح والكسر : أى كنفها وظلها ، وشب . صار شابا وفتى حال من فاعل شب ، وتنوينه للتعظيم : أى فتى كاملا ، ولم يعلق : أى لم يتعلق . قوله فبايعته الناس : أى ولوه عليهم ، وطرا : أى جميعا ، وهو من الاسماء اللازمة النصب على الحال ، ودفعة : أى مرة واحدة ، وفى نسق واحد ، لم يك فيها : أى فى البيعة المفهومة من السياق واحد بالاسبق ، وهو خارج مخرج المبالغة ، اذ المراد لم يقعد

إحد عن مبايعته. قوله : وأعطيت قوس العلا قوس نائب عن الفاعل بأعطيت : ومن مفعول ثان ، وأعوادها مفعول برى ، ورعاية مفعـول لاجلـه ، واضافة قوس الى العلا استعارة ، ومعنى برى أعوادها ، نحتها : والمراد بأعوادها اسهمها ، وهذا البيت من قول الشاعر :

يا بـارى القـوس بريا ليس يحسنه

لا تظلم القوس أعـط القوس باريها

[فَصَارَ فَيْءُ الْعَدْلِ فِي زَمَانِهِ مُنْتَشِراً مِثْلَ انْتِشَارِ الشَّرَقِ]

[وَشَادَ رُكْنَ الدِّينِ بِالسَّيْفِ وَقَدْ حَازَ بِتَقْوَاهُ رِضَـى الْمُوَفِّقِ]

الفيء ، الظل عند الزوال يسمى فيئا لرجوعه من جانب الى جانب . قال ابـن السكيت. الظل ما نسخته الشمس ، والفيء : ما نسخ الشمس ، ومنتشرا : أى ممتدا ، والشرق الشمس . قوله وشادركن الدين : أى رفعه وأعلاه ، وحاز : أى حوى وحصل ، والموفق بالكسر: اسم فاعل من التوفيق، وهو الهداية ، والله هو الموفق :

[وَقَدْ رَقَى فِي مُلْكِهِ مَعَارِجاً لَمْ يَـكُ غَيْـرُهُ إِلَيْهَا يَرْتَقِى]

[وَرَدَّ أَرْوَاحَ الْمَـكَـارِمِ إِلَى أَجْسَادِهَا بَعْدَ ذَهَابِ الرَّمَقِ]

[وَالسَّعْدُ قَدْ أَلْقَى عَصَى تَسْيَارِهِ بِقَصْـرِهِ وَخَصَّـهُ بِمَعْشَـقِ]

رقى. أى علا ، وهو بالفتح فى المعانـى وبالكسر فى المحسوسات ، ومعارجا : أى رتبا عالية ، وهو جمـع معراج، والكلام على الاستعارة . قوله : والسعد قد القى عصى تسياره

هو كناية عن الاقامة لديه ، وهو من قول الشاعر :

فالقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عينا بالاياب المسافر

والمعشق : العشق مصدر ميمى :

[يا مَلِكاً أَلْوِيَةُ النصرِ علَى نظيرِهِ فى غَرْبِنا لَمْ تَخفِقِ]

[طابَ القَرِيضُ فيكمُ وازْدانَ لِى وجَاشَ صَدْرِى بِالفَرِيدِ المُونِقِ]

قوله يا ملكا بالنصب ، لانه من قبيل المشبه بالمضاف، والوية النصر : أى أعلامه ، ونظيره : أى مثله ، ولم تخفق : لم تضطرب ، وهو بضم الفاء وكسرها . قوله وازدان : أصله ازتان ، من الزين . ضد الشين ، فأبدلت التاء فيه ، دالا وهو مطاوع زين. فمعنى وازدان لى زينته فتزين، وجاش أى فاض والفريد : الدر المنظوم أو كباره ، واستعاره للشعر النفيس، والمونق. المعجب :

[لَوْلَاكَ كُنتُ لِلمَدِيحِ تارِكاً لِعَدَمِ البَاعِثِ والمُشَوِّقِ]

[تَركَ الغَزالِ ظِلَّهُ وواصِلٍ للرَّاءِ وابنِ تَولَبٍ لِلمَلَقِ]

لولا حرف امتناع لوجود : أى امتنع تركى للقريض من اجل وجودك. والقريض : الشعر ، ولعدم الباعث علة فى تركه للشعر ، والباعث : السبب الحامل للمرء على إتيان الشىء والمشوق: المغرى والمميل، والباعث عند الشعراء ، هو ما ذكره الغزى :

قالوا تركت الشعر قلت ضرورة باب الدواعى والبواعث مغلق

خلت الديار فلا كريم يرتجى منه النوال ولا مليح يعشق

قولـــه تـــرك الغزال ظلـــه : هو مفعول مطلق لتاركا ، ومعناه من المثل : تـــرك ظبـــي ظله ، وذلك ان الغزال يكون مستظلا فى كناسه وقت الحر فيأتى الصائد ليثيره ، فينفر ولا يعود اليه يضرب لمن يخرج من مقام خفـــض ورخاء الى مقام بؤس وشقاء . واما واصل فهو ابن عطاء شيخ المعتزلة وخطيبهم ، وكان يلثغ بالراء : أى يبدلها غينا ، فكان يتخلص منها ويتلطف فى تجنبها فلا تقع فـــى كلامـــه اصلا ، وذلك لاقتداره على تصريف الكلام وتمكنه من ناصية اللغة ، فمن ثم ضرب المثل بتركـــه للـــراء . واما ابن تولب : فهو النمر ابن تولب العكلى الصحابى ، وكان من الشعراء المخضرمين وذوى الاجادة والمجادة ، الا انه لم يمدح أحدا ولا هجاه ترفعا منه وتأبيا ، فهذا معنى قـــول الناظم ترك ابن تولب للملق ، لان مدح الشعراء كثيرا ما يكون باعثه الملق .

[وَكُنتُ فِي تَرْكِي لَهُ كَابْنِ أَبِي رَبِيعَـــةَ النَّاذِرِ عِتْـــقَ الْهُنْبُقِ]

كان عمر بن ابى ربيعة لما تنسك فى آخر عمره ، ترك الشعر وحلف انـــه لا يقـــول بيتا من الشعر الا أعتق رقبة ، فنظر ذات يوم رجلا يكلم امرأة فى الطواف فعاب عليه ذلك فقال : انها ابنة عمى ، فقال : ذلك أشنع لامرك، فقال : انى أحبها وقد خطبتها الى عمى ، فأبى على الا بصداق أربعمائة دينار ، ثم انه شكا اليه من كلفه بها ، وتحمل به على عمه ، فرق له ابن ابى ربيعة ومضى الى عمه ، فكفل له الصداق وتزوجها الرجل ، فانصرف عمر الى بيته وهو يحدث نفسه ،

فجعلت جارية له تكلمه فلا يرد عليها ، فقالت له : ان لك لامرا ، فقال :

تقول وليدتي لما رأتني طربت وكنت قد أقصرت حينا
أراك اليوم قد أحدثت شوقا وهاج لك الهوى داء دفينا
فقلت شكا الي أخ محب كبعض زماننا اذ تعلمينا

في أبيات أخرى ضمنها هذه الحكاية ، أعتق بعدها رقبة لكل بيت ، فهذا معنى قول الناظم. الناذر عتق الهنبق. أي الملتزم ذلك ، والهنبق : الغلام .

[ومَنَّ بكَ الرَّحمنُ مَن لَّم يزَل فكْرى فى بحْرِ الثَّنا ذا غرَق]

من : أي أنعم ، وبك متعلق به ، وذا غرق : أي غارقا ، وفي بحر الثناء استعارة ، وهو متعلق بغرق ، وهذا البيت من معنى ما قبله ، فهو توكيد لقوله لولاك :

[لا زلتَ بدراً فى بروجِ السَّعْد تنسخُ بنورِكَ ظلامَ الغسَق]
[ولا برِحتَ بالأماني ظافراً ومُدْرِكاً لمَا تشَا منْ أنَق]
[بجاهِ جدِّكَ الرسولِ المُصطفَى خيرِ الأنامِ الصَّادقِ المُصدَّق]
[وسُورةِ الفتْحِ وطه والضُّحى وآيَةِ الكُرسِي وآيِ الفَلَق]

هذا دعاء الختام الذى جرت عادة الشعراء به.

فقوله لا زلت بدرا : أي أبقاك الله مثل البدر ، والبروج: جمع برج : وهي منازل الكواكب في السماء . قال تعالى : ـ والسماء ذات البروج ـ وهذه البروج: منها نحيس ، ومنها سعيد كما يقولون ، ولذلك أضافها الى السعد لان المقصود

الدعاء له بـدوام السعـد ، وتنسخ : أى تمحو، والغسق : أول ظلمة الليل وقد غسق الليل من باب جلس : أظلم . قوله ولا برحت مثل لا زلت، وظافرا بالامانى: أى فائزا بها ومحرزا لها، ولما تشأ اصله المد فخفف : والانق : الفرح والسرور. قوله : بجاه جدك ، الجاه : رفعة القدر ، والمصطفى : المختار، والانام : الخلق . والفتح ، وطه والضحى ، وآية الكرسى ، والفلق من القرآن معلومة :

[إِلَيْكَهَا أُرْجُوزَةً حُسَّانَةً   لِمِثْلِهَا ذُو أَدَبٍ لَمْ يَسْبِقِ]

[كَأَنَّهَا أَسْلاكُ دُرٍّ وَيَوا   قِيتَ تُضِيءُ كَالْبَارِقِ الْمُؤْتَلِقِ]

[أَعَزُّ مِنْ بَيْضِ الأَنُوقِ وَمِنَ الْـ   ـعَنْقَا وَمِنْ فَحْلٍ عَقُوقٍ أَبْلَقِ]

اليك اسم فعل بمعنـى خذ ، وأرجوزة : أى منظومة ، من بحر الرجز: وهو أحد أوزان الشعر الستة عشر، وحسانة بضم الحاء صفة من الحسن: وهى أبلغ من حسنة. قوله كأنها أسلاك أى خيوط . قوله أعز من بيض الانوق : هو مثل يضرب للشيء البعيد المنال ، والانوق : الرخمة ، وهى لا تبيض الا فى رؤوس الجبال والاماكن الممتنعة ، وكذا أعز من العنقاء ، لانها طائر لا وجود له الا فى الخيال ، وأعز من الابلق العقوق لان الابلق من صفـات الفـرس الذكر ، والعقوق من صفات الفرس الانثى ، لان معناه : الحامل والذكر لا يكون حاملا فهو ايضا مثل لما لا يوجد ، وقد تصرف الناظم فى المثل الاخير ، فقال : من فحل عقوق ابلق ، والفحل : الذكر من كل حيوان :

[مَا رَوْضَــةٌ فَيْنَانَــةٌ غَنَّاءُ قَدْ   جَادَتْ لَهَا السُّحْبُ بِمَاءٍ غَدَقِ]

[فَابْتَسَمَتْ أَغْصَانُهَا عَنْ أَبْيَضٍ   وَأَحْــمَــرٍ وَأَصْــفَــرٍ وَأَزْرَقِ]

[يَوْمــاً بِأَبْهَى لِلعُيُونِ مَنْظَــراً   مِنْهَا وَلاَ مِنْ لَفْظِهَا الْمُرَوْنَقِ]

ما نافيه حجازية تعمل عمل ليس ، وروضة اسمها ، وما بعد روضة صفة لها ، والخبر فى قوله بأبهى ، والروضة: الارض المخضرة بأنواع النبات ، والفينانة : كثيرة الافنان : أى الاغصان. والغناء : كثيرة الشجر والعشب. والسحب : جمع سحابة، والماء الغدق : الكثير . وفــى الكتاب العزيز ــ لأسقيناهم ماء غدقا ــ قوله فابتسمت : الابتسام هنا كناية عن الابانة ، والمراد بالابيــض والاحمــر وما بعده : أنواع الريحــان كالزهــر والــورد والبهار والسوسن . قوله يوما ظرف لابتسمت وبأبهى : أى أجمل ، ومنظراً تمييز ، والضمير فى منها يعود علي الارجوزة ، ولفظها المرونق : أى المزخرف:

[مَــا لِجَرِيــرٍ وَجَمِيــلٍ مِثْلُهَا   فِى غَزَلٍ وَفِى نَسِيبٍ مُونِقِ]

[وَلاَ أَدِيبٌ فِي قُرَى أَنْــدُلُسٍ   جَــرَتْ بِهَا أَقْلاَمُهُ فِى مُهْرَقِ]

جريــر هو ابــن عطية بــن الخطفى التميمــى الشاعر المشهور ، صاحب الفــرزدق . وجميل هــو ابن عبد الله بن معمر العــذرى الشاعــر الغــزل المعروف ، صاحب بثينة ، والغزل والنسيب : قيل انهما بمعنى واحد . وقيل الغزل . مغازلة المحبوب خاصة اى ما يكون بين المحب والمحبوب من الافعال والاقوال ، والنسيب وصف محاسن المحبوب ،

وكلف المحب بها ، وما يلقاه من محبوبه من ألم الهجر والصدود مثلا ، وقد كان جرير وجميل مجيدين في ذلك .
قوله ولا أديب في قرى أندلس . القرى جمع قرية ، وكان بالاندلس من القرى عدد كثير ، حتى قيل ان عدد القرى التي كانت على نهر اشبيلية خاصة اثنتا عشرة الف قرية ، والاندلس بلاد اسبانيا التي افتتحها العرب سنة 92 هجرية وبقيت دولتهم فيها زهاء ثمانية قرون ، وقد بلغت في أيامهم من العمارة والحضارة مبلغا عظيما تشهد ببعضه آثارهم الماثلة فيها للعيان الى الان ، واما من نبغ فيها من كبار الادباء ، وجهابذة العلماء فمما لا يأخذه الاحصاء . وجرت بها أقلامه أي خطتها في مهرق كمكرم : أي صحيفة .

[فَلَوْ رَآهَا الأَصْمَعِيُّ خَطَّهَا   كَيْ يَسْتَفِيدَ بِسَوَادِ الْحَدَقِ]

[أَوْ فَتَحَ الْفَتْحُ عَلَيْهَا عَيْنَهُ   سَامَ قَلاَئِدَهُ بِالتَّمَزُّقِ]

[أَوْ وَصَلَتْ لِلْمُوصِلِي فِيمَا مَضَى   عِنْدَ الْغِنَا بِغَيْرِهَا لَمْ يَنْطِقِ]

[أَوِ ابْنُ بَسَّامٍ رَآهَا لَتَدَا   رَكَ الذَّخِيرَةَ بِهَا عَنْ قَلَقِ]

الاصمعي : هو شيخ الرواة ، وتقدم ذكره ، وخطها : أي كتبها ، بسواد الحدق : أي نورها . قوله او فتح الفتح معطوف على رآها، مدخول للو، وسام بمعنى عامل، فلذلك عداه الى المفعول الثاني بالياء ، والتمزق أراد به التمزيق ، والفتح هو ابن خاقان الاديب الاندلسي الكبير ، وقلائده : أي كتابه (قلائد العقيان) الذي ضمنه تراجم أدباء الاندلس والمغاربة في عصره وجملة صالحة من بديع شعرهم ونفيس نثرهم. قوله :

أو وصلت للموصلى : هو اسحاق بن ابراهيم الموصلى المغنى المشهور ، ونديم الخلفاء من بنى العباس ، والغنا فى كلامه مقصور ضرورة، قولـه : او ابـن بسام هو على بن بسام الاندلسى، أحد أدبائها الفضلاء وكتابها البلغاء ، صاحب (الذخيرة) التـى ألفها علـى مثـال القلائد وقوله : لتدارك الذخيرة بها : أى لألحقها فيها عن قلق : أى بمزيد السرعة:

[مَنْ كَانَ يرجُو مِنْ سِوايَ مِثْلَهَا   رَجَا مِنْ الْقِرْبَةِ رشْحَ الْعَرَقِ]

عرق القربة : كناية عن العدم ، فهـو مثل يضـرب لمن يطلب المحال، وقد ظرف الناظم بتصرفه بزيادة لفظة: رشح، فجاءت مؤكدة لمعناه ، متممة لمبناه :

[حَصّنْتُهَـا بِسُورَةِ النَجْمِ إذَا   هَوَى مِنَ الْمُنْتَحِلِ الْمُسْتَرِقِ]

حصنتها : أى جعلت لها حصنا يمنعها من المنتحل : أى المدعى ما ليس له، المسترق، وهو مثل السارق، بسورة ـ والنجم اذا هوى ـ والتحصين بسور القرآن وأسمائه عز وجل مما ورد فى الشرع فلا ينكر :

[فَالْحَمْـدُ لِلهِ الَّـذِى صَيّرهَـا   إِثْمدَ عيْنِ الْمُنْصِفِ الْمُوفَقِ]

[وَالْحَمْـدُ لِلهِ الَّـذِى جَعَلَهَـا   قَذًى بِعيْنِ الْحَاسِدِ الْحَفَلَّقِ]

الاثمد حجر الكحل المعروف ، والقذى : ما يقع فى العين أو الشراب من تبنة أو نحوها ، والحفلق كعملس : الضيف الاحمق :

[ثُـمَّ الصَلاةُ وَالسَّلامُ مَا تَغَنَّـــتْ أُمُّ مَهْـدِيٍّ بِرَوْضٍ مُورِقِ]

[عَلَـى النَّبِــيِّ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ   وَتَابِعِيهِمْ مَنْ مَضَى وَمَنْ بَقِي]

أم مهدى : علم جنس للحمامة ، وغناؤها : سجعها ، وهذا تأبيد للصلاة والسلام علـى خير الانـام محمد صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ه.

كتب للمؤلف

النبوغ المغربي في الادب العربي : جزآن (نفد)

التعاشيب : في الادب والنقد

واحة الفكر : في الادب والنقد

شرح مقصورة المكودي : في السيرة النبوية

محاذي الزقاقية : في التشريع الاسلامي المغربي (نفد)

مجلة لقمان: بحث في شخصية لقمان الحكيم مع جملة من حكمه.

القدوة السامية للناشئة الاسلامية (نفد)

المنتخب من شعر ابن زاكور مشكول ومشروح مع مقدمة في التعريف بالشاعر (نفد)

فضيحة المبشرين في احتجاجهم بالقرآن المبين (وهو رد على كتيب للمبشر المسيحي منرو)

امراؤنا الشعراء : مجموعة من شعر ملوك وامراء الدول التى حكمت المغرب

شرح الشمقمقية (وهو المكتوب عليه هذا) وكان طبعه اولا بمصر سنة 1354

مدخل الى تاريخ المغرب: موجز تاريخي لبلاد المغرب الاقصى من لدن عصور الجاهلية الى الآن ، مزين بالصور والخرط (نفد)

ذكريات مشاهير رجال المغرب : وهي سلسلة من تراجم عظماء المغرب في العلم والادب والسياسة ، صدر منها لحد الآن 24 حلقة